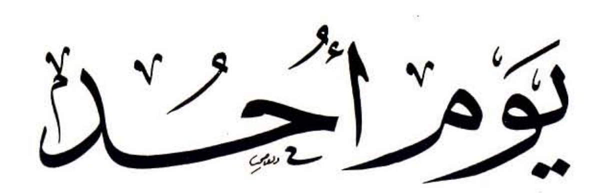

أيام العرب
٥
يومُ أُحُد
الله
دار العلم للملايين

ايام العرب

٥



بقلم

خليل هنداوي

دار العلم للملايين

الطبعة الأولى ١٩٧٤

الطبعة الخامسة

حزيران (يونيو) ١٩٨٦

مكّةُ تموجُ بالرِّجال

مَرَّ عامٌ واحِدٌ على يَوْمِ بَدْرٍ وبُيوتُ مَكَّةَ لا يَزالُ يُخَيِّمُ عَلَيْها جوٌّ حزينٌ ، وأَصْواتُ البُكاءِ والنُّواحِ لا تَزالُ تتعالى بَيْنَ الحينِ والحينِ . ولكنَّ هَزيمةَ قُرَيْشٍ في ذٰلِكَ اليَوْمِ لم تَمْنَعِ الرِّجالَ عَنْ أَنْ تُفكِّرَ في الثَّأْرِ لِقَتْلاها . وها هُوَ أَبو سُفْيانَ قد نَذرَ على نَفْسِهِ أَلَّا يَغْتَسِلَ بِماءٍ ، قَبْلَ أَنْ يَثْأَرَ لِما سالَ مِنْ دِماءٍ . وها هُمْ رِجالُ قُرَيْشٍ ، مِمَّنْ أُصيبَ آباؤُهُمْ وأَبناؤُهم ، وإِخْوَتُهُم يَوْمَ بَدْرٍ ، يخاطبون أبا سفيان ، ومَنْ كانَت لَهُم في تِلْكَ القافِلَةِ تِجارةٌ :

ـ يا أَسيادَ قُرَيْشٍ ! هل نِمتُمْ على سلامَةِ أَموالِكُمْ ، ونَسيتُم مَصارِعَ رِجالِكُمْ ؟ إنَّ مُحَمَّداً قد قَتَلَ أَشْرافَكُمْ ،

وفَتَكَ بِخيارِكُمْ . فماذا تَنْتَظِرون ؟ أَلا تَسْمَعون نُواحَ النِّساءِ ، أَلا يَهُزُّكُمْ بُكاءُ الأَطفالِ الأَيْتام ؟ أَلا تُحَرِّكُمْ مُروءَةُ الرِّجالِ ؟ أَعْطُونا أَموالَ تِجارَتِكُمْ ، لِنَسْتَعِينَ بِها على حَرْبِه ، فَلَعَلَّنا نُدْرِكُ مِنْهُ ثأْرَنا بِمَنْ أَصابَ مِنّا .

وكأَنَّما هذا النِّداءُ قَدْ حرَّكَ الحَزازاتِ في النُّفوسِ ، وَجَمَعَ الرِّجالَ مَرَّةً ثانيةً لِحَرْبِ رسولِ الله . وتقاسَمَ النَّاسُ الأَموال ، يَشْتَرُونَ بِهـا السُّيوفَ والدُّروعَ والرِّماحَ والْخَيْلَ ، استِعْداداً لِيَوْمِ اللِّقاءِ .

إِستنفار الشعراء

وبَعَثَتْ قُرَيْشٌ الشُّعراءَ ، لِيُثيروا قبائلَ العَرَبِ على مُحَمَّدٍ ورِسالتِه ، ويَجْمَعوهُم حَوْلَهم ، وراحــوا يُغْرُونَهم بالمالِ مَرَّةً ، ويَعِدُونَهم بالأَمانيِّ مَرَّةً أُخرى .

فهذا الشاعِرُ أبو عَزَّةَ الجُمَحِيُّ ، الذي كان بين الأُسارى يَوْمَ بَدْرٍ ، قد عفا عنه الرسولُ وأَشْفق على عِياله وأَعفاه من دَفْعِ الفِدْيَةِ ، إِذْ كان فقيراً ذا عِيالٍ وَحاجةٍ .

دعاهُ إِلَيْهِ صَفْوانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وقال له : « يا أَبا عَزَّةَ إِنَّكَ رَجُلٌ شاعِرٌ . والشاعِرُ يُحارِبُ بِلِسانِه ، كما يُحارِبُ المُقاتِلُ بِرُمْحِه وسَيفِه ، وهذا اليَوْمُ يَوْمُك ، فَأَعِنَّا بِلِسانِك ! واخْرُجْ معَنا » .

فأَجابَه أَبو عَزَّةَ ــ وقد تَذَكَّر مَوْقِفَ الرَّسولِ منه ــ : « يا صَفْوانُ ! إِن محمّداً قَدْ مَنَّ عليَّ . وأَخَذَ عليَّ عَهْداً بأَلَّا أَكونَ حرباً عَلَيْه . فلا أُحِبُّ أن أَخونَ عَهْدي » .

فأَجابَهُ صَفوانُ : « إِذاً ، أَعِنَّا بِنَفْسِك ! ولكَ عليَّ إِنْ رَجَعْتَ سالماً أَنْ أُغْنِيَكَ ، وإِن أُصِبْتَ في القِتالِ ، أَنْ أَجْعَل بَناتِكَ مَعَ بَناتي ، يُصِيبُهنَّ ما أَصابَهُنَّ من عُسْرٍ ويُسْرٍ ، وسَعادةٍ وَشَقاءٍ » .

وكأَنَّ هذا الكَلامَ قد اسْتمالَ نَفْسَ أَبي عَزَّةَ ، وَأَغْراهُ بَريقُ المالِ ، فَقَبِلَ الدَّعوةَ ، وخَرجَ إِلى القبائِل يُحَرِّكُها بِلسانِه ، ويُحَمِّسُها بِشِعرِهِ ، ويَدْفَعُها إِلى لِقاءِ مُحمَّدٍ وقِتالِه .

وكان أَبو عَزَّةَ واحداً من الشُّعراءِ الَّذين خَرجُوا إِلى القبائِل ، يُحَرِّضُونَهُم ، ويَدْعُونَهم إِلى حَربِ الرَّسولِ ، وَيُذَكِّرُونَهُم بِيَوْمِ بَدْرٍ ، وَدِماءِ قَتْلى بَدْرٍ .

نَحْوَ المدينة

إجتمَعَتْ قُرَيْشٌ ، ومَنْ حالَفها مِن ٱلقبائِلِ ، وقد لبسُوا دُرُوعَ ٱلقِتالِ ، وحَمَلوا السُّيوفَ وٱلرِّماحَ والنِّبالَ . وقد أَقسَموا ، هَـذِهِ المَرَّةَ ، بأَنْ يكونَ قِتالُهم لِمُحَمَّدٍ صادِقا ، لا يَهْدَأُون عَنْه ، ولا يَتراجَعونَ ، حتّى يَنالوُا مِنْهُ ومِنْ أَصحابِه ما نالوا مِنْهُم يَوْمَ بَدْرٍ .

ولِكَيْ يأْمَنوُا على ثَباتِهِم في القِتالِ أَخرَجوا مَعَهم ٱلنِّساءَ وَجعَلُوهنَّ في الطَّلِيعَـةِ ، لِيَزيدَ مَرْآهُنَّ في شَجاعَتِهم وثَباتِهم . وتِلْكَ عادةُ العَرَبِ أَن تَخْرُجَ النِّساءُ مع المُقاتِلين ، في المعارِكِ الحاسِمَةِ .

فهٰذا أَبو سُفْيانَ قائِدُ الجُموعِ ، يَخْتالُ على جوادِهِ ، وإِلى جانِبِه هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، وهٰذا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبي

جَهْلٍ الّذي عاهَدَ نَفْسَه على الانتِقامِ لِأَبيه.

وغَيْرَ بعيدٍ عن صُفوفِ القَوْمِ كانَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ يدعو غُلامَه الحَبَشِيَّ، الذي يُقال له وَحْشِيٌّ. فلمّا كانَ بَيْنَ يَدَيْه، قالَ له جُبَيْرٌ:

— يا وَحْشِيُّ! أَتُريدُ أَن تَتَحرَّرَ من عُبودِيَّتِكَ؟

فقال وَحْشِيّ:

— وَهَلْ لي أَنْ أَطْمَعَ بأَكْثَرَ من هٰذا؟ ولٰكن، ما السَّبيلُ إِلى ذٰلك؟

ضَحِكَ جُبَيْرٌ، وأَخَذَ يُرَبِّتُ على كَتِفَيْه بِكَفَّيْهِ، وقال:

— ما هذه الحَرْبَةُ الّتي تُخْفيها وراءَ قَميصِك؟

تَلَعْثَمَ حَبَشِيٌّ، لِأَنه كان لا يُريدُ أَن يَعْلَمَ أَحَدٌ بأَمْرِ هذه الحَرْبَةِ التي كان يُخْفيها لِيَوْمٍ يَسْتَطيعُ فيه



ـــ أَتُرِيدُ أَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ عُبودِيَّتِكَ ؟ (ص ٨) ١٠

الهَرَبَ مِنْ عُبُودِيَّتِهِ ، فقال :

ــ إِنهـا حَرْبَةٌ ، يا مَوْلاي ، أَستَخْدِمُها لِذَبْحِ نَعْجةٍ ، أَوْ دَجاجَةٍ .

فقال جُبَيْرٌ ، وهو يَضْحَك :

ــ أَتَظُنُّ فِيَّ الغَفْلَةَ لِهذِهِ الدَّرجة ؟ إِنّ هذه الحَرْبَة تَصْلُحُ لِذَبْحِ رأسٍ أَكبَرَ مِنْ رَأْسِ نَعْجَةٍ أَو دَجاجة .. ولكنْ ، لا عَلَيْكَ يا حَبَشِيّ ! إِنني نادَيْتُكَ لأَمْرٍ عظيمٍ ، إِنْ تَمَّ على يَدَيْك ، فأَنتَ عَتيقٌ .

إِبْتَهَج حَبَشِيٌّ ، وتَهَلَّلَ وَجْهُه ، وقال :

ــ يا مَوْلايَ ! إِنّك تراني على استِعْدادٍ لِتَنْفِيذِ هذا الأَمْرِ العَظيمِ . قُلْ لي : ما هُوَ؟ وكيفَ أُنفِّذُه ؟

قال جُبَيْرٌ ، وقَدْ رأى فيه هِمَّةً وَعَزْمًا :

ـ انَّنـــا قادِمون على المَدينةِ ، وسَتكونُ بَيْنَنا وبَيْنَ أصحابِنا مَعْرَكةٌ حاسِمةٌ ، تُقَرِّرُ بَقاءَنا أَوْ فَناءَنا ... وستكونُ ، يا حَبَشِيُّ ، واحِداً مِنَ الَّذين يُقاتِلون مَعَنا.

قال حَبَشِيٌّ ، وقد عادَ التَّجَهُّمُ إلى وَجْهِه :

ـ أَهٰذا كُلُّ شَيْءٍ يا مولاي؟ في السِّلْمِ خُدّامٌ عَبيد ، وفي الحرب مُقاتِلونَ صَناديد .

أَجابَ جُبَيْرٌ ، وقَدْ أَدرَكَ أَنَّ حَبَشِيًّا مُسْتَعِدٌّ لِأَن يَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ لِقاءَ أَن يَتَحرَّر من عُبودِيَّتِه :

ـ ثَمَنُ تحرُّرِكَ مِنْ العُبُودِيَّةِ بَسيطٌ جِدًّا . لا تكادُ تُؤَدِّيه حتَّى تَكونَ طَليقاً عَتيقاً مِنْ كُلِّ قَيْدٍ .

فقالَ حَبَشِيٌّ وقَدْ تَأَلَّقَ وَجْهُه لِما سَمِع :

ـ مَهْما كان الثَّمنُ غالياً فإنِّي مُسْتَعِدٌّ لِدَفْعِه . لا ثَمَنَ

يَعْلُو على ثَمَنِ الحُرِّيَّة .

فقال جُبَيْرٌ :

ـ عِنْدَما يَخْتَلِطُ النَّاسُ في القِتالِ ، عَلَيْكَ أَن تُراقِبَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ المطَّلِب ، حتّى ترى مِنْهُ غَفْلَةً ، وإِذْ ذاكَ اقْذِفْهُ بِحَرْبَتِكَ قَذْفَةً تَقْضِي عَلَيْه ، فهَلْ أَنْتَ فاعِلٌ ؟

ضَحِكَ حَبَشِيٌّ ، وقال :

ـ ما أَهْوَنَ ما طَلَبْتَ ! في سَبيلِ حُرِّيَّتي ، سأَقْذِفُ بِحَرْبَتي ، لا رَأْسَ حَمْزَةَ وَحْدَه ، بَلْ رَأْس كُلِّ مَنْ يُسَمَّى حَمْزَة ، ولكنْ ... هل أَنْتَ صادِقٌ في عَهْدِكَ لي ؟

قالَ جُبَيْرٌ :

ـ واللهُ على ذٰلِكَ شَهيد .

وافترق الاثنان ، ووَحشِيٌّ يمَنِّي نَفْسَهُ بِذٰلِك اليوْمِ القَريبِ الَّذي يَرى نفسَهُ فيهِ حُرّاً .

وأَقْبَلَتِ الجُموعُ تَمْلأُ الدَّرْبَ الطَّويلَ الذي يمتَدُّ بَيْنَ مَكَّةَ والمَدينةِ ، وَهُمْ يَسْتَخْفُونَ في مَسِيرِهِم ، حتّى يُفاجِئُوا الرَّسولَ وأَصحابَهُ في المدِينةِ ، لِأَنَّ المُفاجَأَةَ نِصْفُ النَّصْرِ .

المُسلِمون يَتأَهَّبون

لم يَستَطِعِ المُسلِمون أَنْ يَعلَموا بِهٰذا الزَّحفِ ، إلَّا بَعْدَ أَن اقتَرَبَ مِن المَدِينَةِ ، فأَحدَثَ ذٰلِكَ خَوفاً واضطِراباً في صُفوفِهِم ، لأَنَّهم أَدرَكوا أَنَّ يَوْمَ الثَّأْرِ ، سَيَكُونُ أَقْسَى مِنْ يَومِ بَدْرٍ .

فلما سَمِعَ بِهِم رَسولُ اللهِ والمُسْلِمون ، وعَرفُوا أَنَّهُم نَزلوا في مَوضِعٍ قَريبٍ مِنَ ٱلمَدينةِ ، قال النَّبِيُّ لأَصْحابِهِ :

ـــ هٰذِهِ قُرَيْشُ وَأَحلافُهـا مِنَ ٱلقبائِلِ يُريدُونَ فَناءَنا ، فماذا أَنْتُم تَرَوْنَ ؟

فَقالَ المُسْلِمون : « أَلرَّأْيُ رَأْيُكَ يا رَسولَ اللهِ ! ما تَأْمُرُنا بِـه نَفْعَلُهُ ، ولا نُخالِفُ لَكَ أَمراً » .

فقالَ الرسولُ : « بُورِكَ بِكُم ! واللهِ لَنْ يَتَخَلَّى عَنْكُمُ . إِنّي رأَيتُ واللهِ رُؤْيا خَيْرٍ ، هذِهِ اللَّيْلَةَ . رأَيْتُ بَقَراً تُذْبَحُ ، ورأَيْتُ في حَدِّ سَيْفي كَسْراً ، ثم أَدْخَلْتُ يَدي في دِرعٍ حَصِينةٍ ، ولا أَرى هذهِ الدِّرْعَ إِلَّا المدينَةَ ، فإِنْ رأَيْتُم أَنْ تُقيموا بالْمدينةِ ، وتَتْرُكُوهُم حَيْثُ نَزَلوا ، فإِنْ أَقاموا أَقاموا بِشَرِّ مُقامٍ ، وإِن هُمْ

دَخلوا عَلَيْنا قاتَلْناهُـم بِالْمدينةِ، من حيٍّ الى حيٍّ ، ومِنْ بَيْتٍ إِلى بَيْتٍ ، حتّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنَنا وبَيْنَهم » .

وسكَتَ الرَّسولُ ، يَنْتَظِرُ ما تَرَكَهُ كلامُه ، في نُفوسِ قَوْمِه مِنْ أَثَرٍ ، فقالَ رجالٌ مِنَ الْمسلمين :

ـ لا ، لا يا رسولَ الله ! لَيْسَ هذا بالْرَّأْيِ الْمُصِيبِ . أُخْرُجْ بِنا إِلى أَعْدائِنا ، نُقاتِلُهُمْ حَيْثُ نزَلوا . فإنّا إذا مَكَثْنا في الْمدينةِ ظَنُّوا ذٰلِكَ جُبْناً مِنّا وَضَعْفاً ، وزادَهُم ذٰلِكَ طَمَعاً فينا .

وكانَ على هذا ٱلرَّأْيِ أَكْثَرُ الْمُسلِمين ، لم يُخالِفْهُم فيه إِلّا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ، الذي الْتَفَتَ إِلى الرَّسولِ ، يُؤَيِّدُهُ في رَأْيِه الَّذي ارْتآهُ ! لا إيماناً بِما يراهُ لكِنَّهُ أَرادَ النِّفاقَ ، وبَذْرَ بُذورِ الشِّقاقِ في صفوفِ المسلمين ،

فقال :

ــ إنّي على رأيِكَ يا رسولَ الله ! أَقِمْ بِالْمدينةِ ، ولا تَخْرُجْ إِلَيْهِم ، فواللهِ ما خَرَجْنا منها إلى عدُوٍّ لنا قَطُّ إِلَّا أصابَ مِنّا ، ولا دَخَلَها علَيْنا عَدُوٌّ إِلّا أَصَبْنا مِنْه ، فَدَعْهُمْ ، يا رسولَ الله ، فإنْ أَقاموا خارِجَ المَدينةِ ، أَقاموا بِشَرٍّ مَحْبِسٍ ، وإنْ دَخلوها علينا قاتَلَهُم الرِّجالُ في وُجوهِهِم ، ورَماهُم النِّساءُ والصِّبيانُ بالِحجارةِ من فوْقِهم ، وإنْ رجعوا رَجَعوا خائِبينَ كما جاءُوا .

سكتَ الرَّسولُ بُرْهَةً ، وهو حائِرٌ بين هذين الرَّأْيَيْنِ . لا يَدْري ، أَيَخْرُجُ مِنَ ٱلمدينة الى لقاءِ أَعدائِه ، كما أَشارَ به بَعْضُهم ، أَمْ يَبْقى في المدينةِ تَمْنَعُهُ بيوتُها وجُدْرانُها ؟

قد لبِستُ سِلاحي ولَنْ أَخلَعَه

ولكنَّ رأيَ الذين قالوا بوُجوبِ الخُروجِ من المدينة، ولِقــاءِ قُريشٍ خارِجَ بُيوتِ المدينةِ ، كانَ رأيَ الأَكْثَريَّةِ . وما كانَ لِلرَّسولِ أَنْ يُهمِلَ هذا الرَّأيَ ، فاستَمهَلَهُم قليلاً ، حتّى دَخَلَ بَيْتَــه ، فلَبِسَ دِرعَه ، وتَقلَّدَ سِلاحَه ، ثم خرج .

فلما رأَوهُ قد لبِسَ السِّلاحَ ، أَدرَكوا أَنَّ الرسولَ قد صمَّمَ على لِقاءِ قُرَيشٍ ومَنْ معها ، خارِجَ جُدْرانِ المدينةِ ، فظَهَر النَّدَمُ مِنْ بَعْضِهم ، وقالوا :

ــ بِئسَ ما صَنَعْنا ! لَقَدْ حَمَلْنا الرَّسولَ على الخُروجِ بِنا ، وهو مُكْرَهٌ على ذلك ، ولم يكُنِ الرَّأيُ رأْينا ، أَنُشيرُ على النَّبِيِّ ، والوَحيُ يأْتِيه ؟



رَكِبَ ٱلْفُرْسَانُ خَيْلَهُمْ وَلَبِسَ ٱلْمُشَاةُ أَسْلِحَتَهُمْ (ص ١٧) . ٢٠

ثم قامُوا ، فاعْتَذروا إليه ، وقالوا :

ـ إصْنَعْ ما رأيْتَ ! واذا كنْتَ تُرَجِّحُ البقاءَ في المدينةِ أَطعْناكَ في ذلك .

فأَجابَهُم رسولُ الله :

ـ هَيْهاتَ ، هَيْهاتَ ! ما يَنْبَغي لِنَبيٍّ إذا لَبِسَ دِرْعَه أَنْ يَخْلَعَها حتّى يُقاتِلَ . لقد عَزَمْتُ الخُروجَ بِكُمْ ، فاستَعِدُّوا !

وفي اليومِ الثاني كانَتْ تَموجُ المدينةُ بالرِّجالِ المُقاتِلين مَوْجاً ، وكُلُّهم يدْفَعُهُم الجِهادُ في سبيلِ الله ، الى قِتالِ الأَعداءِ ، فركِبَ الفُرسانُ خيلَهم ، ولبِسَ المُشاةُ أَسْلِحَتَهُم ، وجمَعَ الرُّماةُ نِبالَهم ، وتَهَيَّئوا لِلْخُروجِ صَفًّا واحِداً ، لا هَمَّ لهُم إلّا القِتالُ .

وتركَ الرَّسولُ بالمدينةِ ٱبنَ أُمِّ مَكتومٍ يُصَلِّي بالنَّاسِ ، ويُديرُ أمورَهُم في غَيبَتِه ، وخَرَجَ في أَلفٍ مِنْ أَصحابِه .

حتَّى إذا بَلَغوا حائِطاً عِنْدَ جَبَلِ أُحُدٍ ، ٱنعزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ، صاحبُ الرأيِ القائلِ بعَدَمِ مُغادَرَةِ المدينةِ ، وحَرَّضَ أصحابَه على الانْعِزالِ مَعَهُ ، فانْضَمَّ إليه ثُلْثُ النَّاسِ ، وقال لهم :

ــ أطاعَهُم ، فَخَرَجَ وَعصاني ، واللهِ ، ما نَدْري لِماذا نَقْتُلُ أَنفُسَنا ؟ هُهُنا أَيُّها النَّاسُ !

كان ذلِك الخِذْلانُ أَوَّلَ إشارةٍ الى تمزيقِ الصَّفِّ ، فَتَبِعه عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمرو ، وَقالَ له ولِمَنْ وقَفُوا معه :

ــ يا قَوْمُ أُذَكِّرُكُمْ بِالله ! لا تَخْذُلوا قَوْمَكُم

وَنبِيَّكُمْ فَتَنْدَموا !

أَجابوه : « لو نعلَمُ أَنَّكمْ تُقاتِلون لما تَرَكْناكُم ، ولكنَّا نَرى أَنَّه لن يكونَ قِتالٌ » .

وكان هناكَ حِوارٌ طويلٌ بين الطَّرَفَيْن . حتّى إذا اسْتَعْصَوْا عليه ، وأَبوا الّا الانْصِرافَ قال لهم عبدُ الله :

ـــ أَبْعَدَكُمُ اللهُ يا أَعداءَ اللهِ ! واللهِ ، ما نَوَيْتُم إلّا الغَدْرَ ، ولكنَّ اللهَ سَيُغني نَبِيَّهُ عَنْكم ، وَيَنْصُرُهُ بِجُنْدٍ مِنْ عِنْدِه .

وانطلَق مَنْ تَبَقَّى مِنَ المسلمين مَعَ الرسول ، وساروا نَحْوَ هَدَفِهم .

أَعْمى القلبِ أَعمى البَصَر !

ثمّ الْتفتَ رسولُ اللهِ ، وقالَ لأَصحابِه :

ـ مَن رَجُلٌ يَخْرُجُ بنا قَريباً مِنَ القْوم ، مِنْ طريقٍ لا يَمُرُّ بنا على أَعدائنا ؟

فقال أَحد أصحابِه :

ـ أنا يا رسولَ اللهِ ! لن تجِدَ أحداً أَعْرَفَ منّي بمسالِكِ هذه الطّريقِ .

فأَمَرَهُ الرَّسولُ بأَنْ يتَقَدَّمَ الجَمْعَ ، وساروا على طريقٍ مَهْجورٍ ، حتّى بَلَغوا بُسْتاناً يَمْلِكُهُ رجلٌ منافِقٌ ضريرٌ ، فلمّا سَمِعَ حِسَّ رسولِ الله ومَنْ مَعه مِنَ المُسلمين ، غَضِبَ لِأَنَّهم دَخلوا عَلَيْه بُستانَه ، بِلا إِذْنٍ ، فقام يَحْثِي التُّرابَ في وُجوهِهم ، ويقول :

ـ إنْ كُنْتَ رسولَ اللهِ فإِنّي لا أُحِلُّ لكَ أَنْ تَدْخُلَ حائِطَ بُسْتاني !

ثم أَخَذَ حفْنَةً من تُرابٍ في يدِه ، وقال :

ــ واللهِ ، لو أَعْلَمُ أَنّي لا أُصِيبُ بها أَحــداً غَيْرَكَ يا مُحَمَّدُ ، لَضَرَبْتُ بها وَجْهَكَ !

فهاجَ عليه القَوْمُ لِجُرأَتِه على الرَّسولِ ، وهَمُّوا بقَتْله ، وكادوا يَقْتلونه لولا أَنَّ الرَّسولَ حالَ بينـه وبينهم ، ومَنَعهم أَن تَمْـتَدَّ إِليهِ أَيْديهم بِأَذىً ، وقال :

ــ لا . لا تَفْعلوا ! فهذا الأَعمى أَعمى القَلْبِ ، أَعمى البَصَرِ .

اللقــاءُ عَنْدَ جَبلِ أُحُد

لم يكُنْ في بَطْحاءِ المدينةِ إِلّا هذا الجَبَلُ النَّاتيءُ بِصخُورِهِ وحِجارَتِه السَّوْداءِ ، الجَرْداءِ .

إِنَّه جَبَلُ أُحُدٍ الذي سُمِّيَتِ الغَزْوَةُ به بَعْدَ انْتهاءِ

القتال .

مضى رسولُ الله على وَجْهِه ، حتّى بلَغَ الْجَبَلَ ، فهبطَ أَحَدَ أَوْدِيَتِه ، وجعلَ ظَهْرَه وعَسْكرَه وراءَ الجَبَل ، لِيكونَ حاجِزاً طبيعيًّا يَمْنَعُ عَنْهم . ولما حَطَّ الرِّجالُ والفُرسانُ جَمْعَهم قال لهم :

ــ لا يُقاتِلَنَّ أَحَدٌ منكم حتَّى نأْمُرَهُ بِقِتال .

ثم أَخَذَ يُرَتِّبُ الصُّفوفَ ، وبَعْدَ انْتهائِه من تَرْتيبها أَمَّرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ على رُماةِ النِّبالِ ، ووَضَعَهُم مِنْ ورائِهم ، وأَوْصَى أميرَ الرُّماة :

ــ إِمنَعِ الخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ ! لا يَأْتُونا مِنْ خلْفِنا ! وإِنْ كانتِ المعْرَكَةُ لنـــا أو علينا فاثْبِتْ مَكانَك ، ولا تَتَحرَّكْ منه ، حتّى تَرُدَّ عنَّا مَنْ يُفاجِئُنا مِنْ ورائِنا !

ثم أَمَر الرسولُ أَصحابَـه بأَنْ يَلْبَسوا سِلاحَهم ، ويُضاعِفوا دُرُوعَهم ، ويَسْتَعِدُّوا للقِتال .

أَمَّـا قُرَيْشٌ فقدْ عَسْكَرَتْ في السَّهلِ المُمْتَدِّ مِن الجَبل . وقد عَبَّأَتْ ثلاثةَ آلافِ رَجُلٍ ، مَعَهُم مِائتا فَرَسٍ ، جَعَلوا لكُلِّ فارِسٍ منها فرَسَيْن ، يَتَناوبانِ القِتالَ ، وجَعَلوا على مَيْمنةِ الخَيْلِ خالدَ بْنَ الوليدِ ، وعلى مَيْسرتِها عِكْرِمَةَ بْنَ أَبي جَهْلٍ .

وجَمَع أَبو سُفْيانَ قائِدُ الحَمْلةِ أَصحابَ الرَّايةِ مِنْ بني عَبْدِ الدَّارِ ، وأَخذ يُحَرِّضُهم على القِتال .

ــ يا بني عِبْدِ الدَّارِ ! إِنَّكمُ حَمَلْتم رايتَنا يَوْمَ بَدْرٍ ، ولمّـا اشْتدَّ القِتالُ تَخَلَّيْتُم عنِ الرَّايةِ ، فأَصابنا ، في ذلك اليومِ ، مـــا قَدْ رأَيْتُم . وإِنَّما الناسُ براياتهم ،

اذا بَقِيَتْ مرفوعةً ثَبَتوا ، وإذا زالَتْ زَالوا ... فإمَّا أَنْ تكونوا اليومَ جَديرِينَ بِحَمْلِ الرَّايةِ ، وإمَّا انْ تُخَلُّوا بينَنا وبيْنَها ، نَذُودُ عَنْها بأَرواحِنا ودِمائِنا .

فغضِبَ رجالُ بني عبدِ الدَّار لهذِهِ الإهانةِ ، وهَمُّوا بِضَربِه ، وتَواعَدُوه بالشَّرِّ ، وأجابوه :

ــ هل تَطْمَعُ بأَنْ نُسلِمَ إليكَ رايتَنا ، ونحنُ أَصحابُ الرايةِ في كلِّ مكان ؟ لا واللهِ ، لن نَتَخلَّى عنْ رايتِنا . وسَتَعْلَمُ غداً ، إذا التَقَيْنا كَيْفَ نصنع ؟

فقال أبو سفيان :

ــ مهلاً يا بني عَبْدِ الدَّارِ ! اذا قَسَوْتُ عليكم فما أَقْسو إلّا لِأَصِل الى هذه النَّتيجةِ ، وهيَ أَنْ أرى رايةَ قُرَيْشٍ مَرْفوعةً أبداً .



عَصَبَ رَأْسَهُ وَجعَلَ يَتمَخْتَرُ بَيْنَ ٱلصَّفَّيْنِ (ص ٢٨) . ٣

النساءُ يُحَرِّضْنَ الرِّجال !

وكان اللقاءُ ... وأَخذَ المُقاتِلون يَقْتَرِبُ بعضُهم من بعضٍ . وهم مُثقَلونَ بالدُّروعِ والسِّلاح ، كلُّ واحدٍ يتمنّى أَنْ يصِلَ الى عدُوِّهِ قَبْلِ غَيْرِه .

لِم تكن النِّسْوةُ اللَّواتي رافَقْن رِجالَ قُرَيْشٍ بِأَقلَّ حَماسة مِنْ رِجالِهِن . لأَنهُنّ ، لَيْسَ فِيهِنَّ إِلّا مَنْ فَقَدَتْ أباها ، أَو أَخاها ، أو فتاها ، فجِئْنَ هــــذا اليَوْمَ ، يَشْفِينَ نُفُوسَهُنَّ مِنْ أَحزانِهِن .

فهذِهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَـة ، نَهَضَتْ في النِّسوةِ اللَّواتي مَعَها ، وأَخذْنَ الدُّفوفَ يَضْرِبْنَ بها خَلْفَ الرِّجال ، ويُحَرِّضْنَهم على القِتال ، وراحَتْ هِنْدُ تقول :

ـــ يا رجالَ قُرَيْش ! هذا اليَوْمُ يَوْمُكم . قد حَمَلْنا

العارَ عاماً ، فَخُذوا بِثَأْرِ قَتْلانا يَوْمَ بَدْرٍ ؛ واغْسِلوا هذا ٱلعارَ بِتَحْقيقِ الثَّأْرِ !

ثم أَخَذَتْ تُنْشِدُ على نَقْر الدُّفوف :

إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ ... وَنَفْرُشِ النَّمارِقْ (١)

أَو تُدْبِروا نفارِقْ ... فِراقَ غَيْرِ وَامِقْ (٢)

وكان النِّساءُ يُرَدِّدْنَ ما تقُول ، بينما كان الرِّجالُ ، الى ساحةِ المَعْركةِ يَزْحفون .

الرجال يتزاحمون على سيف الرسول

وقَبْلَ الْتِحامِ القِتال ، والصُّفوفُ وقوفٌ بين يَدي الرَّسولِ التفت الى أَصحابِه ، وأَشارَ إِلى سَيْفِه ، وقال

---

١) النمارق : الوسائد الصغيرة .
٢) غير وامق : غير محب .

ـــ مَنْ يأْخذُ منّي هذا السَّيْفَ بحَقِّه ؟

فقام إليه رجالٌ يطلُبونه ، وهو يُمسِكُه عَنْهم .
وكان مِنْ هؤلاءِ الرجالِ البَطَلُ الكرّارُ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام ، فَلَبِثَ مَكانَه يُحَدِّثُ نَفْسَه :

ـــ إذا كنتُ أَنا غَيْرَ جديرٍ بسَيْفِ رسولِ الله ، فَمَنْ هُوَ الأَجْدَرُ بِهِ مِنِّي ؟

وفَجأَةً ، نهضَ مِنَ القومِ أبو دُجانَةَ ، وصاحَ بِصَوْتٍ عريض :

ـــ وما حقُّه يا رسولَ الله ؟

قال الرسولُ .

ـــ أنْ تَضْرِبَ به العَدُوَّ حتّى يَنْحنِي !

قال أَبو دجانة :

ـــ أَنا آخُذُه يا رسول اللهِ بِحَقِّه .

فأَعطاه الرسولُ سَيْفَه ، وقال :

ـــ إِنِّي آثرتُكَ بِسيفي يا أَبا دُجانَـــةَ ، فصُنْ كَرامةَ سَيْفي !

وكان أَبو دُجانَةَ رَجُلاً شجاعاً ، من عادتِه أَنْ يَخْتالَ في الحَرْبِ اذا كانتِ الحَرْبُ ، وكان إِذا زيَّنَ رأْسَه بعِصابَةٍ له حَمْراءَ ، عِلِمَ النَّاسُ أَنَّه سيُقاتِل . ولما أَخذَ السَّيفَ من يَـدِ الرَّسولِ أَخرَجَ عِصابَته المَعْروفَةَ ، فعصَبَ بها رأْسَه ، وجعل يَتَبخْتَرُ بَيْنَ الصَّفيْنِ . فلما رآهُ النَّاس يَتَبَخْتَرُ لَفَتوا أَنظارَ الرسولِ الى مـــا يَفْعل ، فقال الرسول ، وهو يضحكُ حتّى بانَتْ أَسنانُه .

ـــ دعُوهُ يَتَبَخْتَرَ ! إِنَّها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها اللهُ ، إِلّا في

مثلِ هذا الموضِع .

ثم انْصَبَّ الناسُ بعضُهم على بعض ، وقد هدأَتِ الأَصواتُ ، إلّا ما كان يعلو من صَليلِ السُّيوفِ وهي تَقَعُ على الدُّروعِ ، وقَعْقَعةِ الرِّماحِ ، وصَهيلِ الخَيْلِ التي كانت تَعْدو من مكانٍ إلى مكانٍ .

أبو دُجانة يُكرِمُ سَيْفَ الرسول

كان الزُّبَيْرُ بْنُ العوَّام الذي لم يُعْطِه الرَّسولُ سَيْفَه ، بَعْدَ أنْ وعَدَهُ بِتأْدِيَةِ حَقِّه ، حزينَ النَّفسِ ، لِأَنه لم يَكُنْ هذا السَّيْفُ من نَصيبه . وقد زادَه حُزْناً أَنَّه ابْنُ عَمَّةِ الرسول ، ومِنْ قُرَيْشٍ ذاتِها ، وأَنه كان أَسْبَقَ الرِّجالِ الى طَلَبِ السَّيفِ ، فلِمـــاذا اخْتَصَّ الرَّسولُ أَبا دُجانة بِسَيْفِه ؟ أَيكونُ أبو دُجانَة أَشْجعَ منه في

الحروبِ ، وأَكْرَمَ منه في نَسَبِه ؟

لقد حاوَلَ الزُّبَيْرُ ، في ذلك اليومِ ، أَنْ يَفحصَ أَمْرَ أَبي دُجانَةَ ، ويَطَّلِعَ على مَبْلغِ شجاعتِه ، فاتَّبَعَه ، حَيثُ كان يَميلُ ، وأَبو دُجانَةَ كان لا يَلْقى أَحداً إِلَّا قَتَلَه ، ولا رآهُ أَحَدٌ الّا فرَّ مِنْ وَجْهه .

وفَجأَةً وقَعَ أَبو دُجانَةَ على رجلٍ من المشركين ، كان لا يَتْركُ أَحداً من جَرْحى المسلمين إلّا أَجْهَزَ عليه . نَظَرَ أَحدُهما إِلى الآخَرِ ، وطَمِعَ كُلُّ واحدٍ مِنْهما بِقَتْلِ الآخر ، فجعلَ كُلُّ واحِدٍ منهما يِقْتَرِبُ مِنْ صاحِبه .

رآهما الزُّبَيْرُ يَقْتَرِبان ، وهو يدعو بِنَفْسِه أَنْ يَجْمعَ اللهُ بينهما حتّى يَظْهَرَ الشُّجاعُ مِنْ غَيْرِ الشُّجاعِ ،

ووقفَ ناحِيةً يتأمَّل فِيهما .

إلتقى الاثنانِ ، فاقْتتَلا ، حتى اختَلفا ضَرْبتَيْنِ ، بَدأ بِها المُشرك فضَرَبَ بها أبا دُجانَةَ ، فرَدَّ الضَّرْبةَ بدِرْعه ، وحَمل عليه أبو دُجانَةَ ، فضَرَبه ، فقتَله .

ثم أَقْبَل أبو دُجانَةَ ، وهو يَهْدُرُ بِصوتِه ، فإذا به يَرى مُجْتمعَ نِساءِ قُريْشٍ ، وهِنْدٌ فِيهِنَّ لا تَزال تُنْشِدُ وتُحَرِّضُ على القِتال ، وتُردِّدُ .

إنْ تُقبِلوا نُعانِقْ ونَفْرُشِ النَّمـارِقْ

فحمَل عليها بِسَيْفِه ، يُريدُ أَن يُخرِسَ هٰذا الصَّوتَ المُنْكَرَ ، ولكنَّه في اللحظـةِ الأَخيرةِ ، ردَّ السَّيْفَ عَنْ رأْسِها ، وقال :

ــ إنِّي أُكرِمُ سَيفَ الرَّسولِ أَنْ أَضرِبَ بِه امرأةً .

كلُّ ذلك شاهده الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ بعَيْنَيْه ، فأَكْبَر أَبا دُجانَة ، وقال :

ـــ لِمثْلِ هذا وَضَع رسولُ اللهِ سَيْفه أمانةً بَيْنَ يَدَيْ أبي دُجانَةَ . أللهُ وَرَسُولُهُ أَعلم .

مَقْتَلُ حَمْزَةَ عَمِّ الرَّسول

وكان حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب لا يَحْمِلُ على صَفٍّ إلّا مَزَّقَه ، ولا يُبارِزُ مُقاتِلاً إلّا صَرَعَه قَتيلاً . وكان همُّه الأَوَّلُ أَن يَهْزِمَ رجالَ قُرَيْشٍ الّذين يَحْمِلون الرَّايَةَ ، فراحَ يَقْتُل الواحِدَ منهم بَعْدَ الآخر ، ورايات قُرَيْشٍ تَنْخَفِضُ رايةً بَعْدَ راية .

كانَ هنالِكَ ، وراءَ صَخْرةٍ منيعةٍ ، ذلِكَ العَبْدُ وَحْشِيٌّ ، الذي عاهدوه بِرَدِّ حُرِّيَّتِه اليه اذا قَتَل حَمْزَةَ

بِحَرْبَتِه ... كان ذٰلِكَ العَبْدُ يَتَرَصَّدُ حركاتِ حَمْزة في القِتال ، ويَنْتظِرِ أَنْ تَسْنَح له الفُرْصَةُ لِتَنْفيذِ غايَتِهِ .

وما إِن رَآه يَهُدُّ النَّاسَ بِسيفِه ، ما يُبْقي بِهِ شَيئاً ، مِثْلَ الأَسدِ الهَصُورِ وهو يَقْتلِع الرُّؤُوسَ عن الأَبْدانِ ، حتَّى جاءَتْه الفُرْصَةُ المُناسِبةُ ، فَهَزَّ حَرْبَتَه الماضِيةَ ، وهَيَّأَها للقَذْفِ نَحْوَ صَدْرِ حَمْزَةَ ، بِحَيْثُ لا تُخْطِئُـه أبداً . ولمـا رضِيَ عن مَوْقِفِه أَطْلقَ حَرْبَـته ، ولها رَنينٌ في الهَواء ، فإذا بِهـا تُصيبُ ذٰلِكَ البَطَلَ في المَقْتَل . فأَدْرَكَ حَمْزَةُ أَنه قَدْ أُصِيبَ إِصابةً قاتِلةً ، غادِرةً ، فتحَامَل على نفْسِه ، وأَقْبل نَحْوَ قاذِفِ الحَرْبةِ ، لـكنَّه ضَعُفَتْ عَزيمتُـه عن إِكمالِ سَيْرِهِ فوقَع على الأَرض ، والدِّماءُ تَنْزِفُ من جُرحِه بِغَزارةٍ ، ثمّ أَسْلمَ

الرُّوحَ ، وهو شاخِصَةٌ عَيْناهُ في قاتِله ، واقْترِبَ منه وَحْشِيٌّ ، بعدَما تأَكَّد أَنَّ حَمْزَةَ قد أَسْلَم رُوحَه . فانْتزَع من بَطْنِه حَرْبَته ، ومَسَح الدَّمَ عنها ، ورجَع الى العَسْكر ، فقَعَدَ فيه ، وتركَ القِتال ، وهو يَحْلُم بأَنَّه قد أَصْبَح حُرّاً .

وبعد انتهاءِ الغزوةِ ، عادَ وَحْشِيٌّ الى مكَّةَ ، ولقَّبَتْه قُرَيْشٌ بأَنه قاتِلُ حَمْزَةَ . ووَفى له سَيِّدُه بما وعدَه بِه ، فأَصْبَحَ حُرّاً .

عليٌّ يَحمِلُ الرّاية

لما اشْتَدَّ القِتالُ يَوْمَ أُحدٍ . جَلَس الرّسولُ تَحْتَ رايةِ الأَنْصار ، وأَرْسَل إلى عَلِيٍّ بنْ أَبي طالِبٍ أَنْ « قَدِّمِ الرَايةَ بيدِكَ » ! فتقدَّمَ عَليٌّ ومعه الرايةُ حتّى

أَصْبحَ يواجِه بِرايتِه رايَـةَ المُشرِكين التي كان يَحمِلُها أَبو سَعْدِ بْنُ أَبي طَلْحَةَ .

ولما تقَابلَ الاثْنانِ ، خَرجَ ابْنُ أَبي طَلْحَـةَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، فنادى :

ــ أَنا ابْنُ أَبي طلحة ، مَن يُبارِزُني ؟

فلم يَخْرُجْ إِليه أَحدٌ من المسلمين ، فازداد كِبْراً بِشجاعتِه ، فأَعاد النِّداءَ مرّةً ثانية ، وقال :

ــ ما لـكُمْ تَخافون مُبارَزَتي يا أَصحابَ محمّد ؟ لقـد زعَمْتُم أَنَّ قَتْلاكُم في الجنَّـة ، وأَنَّ قَتْلانا في النَّارِ ، كَذَبْتُم ! لو تعْلَمُون ذٰلِكَ حَقّـاً لَخَرجَ إِليَّ بَعْضكُم مِمَّـنْ يَطْمَعون بالجَنَّة .

لم يَصبِرِ عليٌّ على هٰذا التَّحديّ ، فرَكَزَ الرَّايةَ في

الأَرْضِ ، وخَرَجَ إِليه ، وبِيدِه سَيْفُه « ذُو الفِقارِ »

وقال له :

ــ إِليَّ اليَّ ! ستَعْرِفُ ، بَعْدَ قليلٍ ، مَنْ تأْكُله النار .

وتبارَزَ ٱلاثْنانِ ، واختَلَفَا ضَرْبَتيْنِ ، وإِذا بابْنِ أَبي طَلْحَةَ يَقَعُ تَحْتَ ضرْبَةِ علِيّ ، وهو يَتَرَنَّحُ تَرَنُّحَ الموت . وعادَ علِيّ إِلى رايتِه ، فرفعها ، وأَعادَ الكَرَّةَ على الأَعداء . فإِذا براياتِ قُرَيشٍ تَتساقَطُ على الارْض ، واذا بأَصْحابِها يَتْركونها طَمَعاً بالنَّجاةِ ، والمسلمون حاملون على مُعَسْكرِهم ، حتّى كَشَفُوهم ، وهَزَمُوهم .

النَّصْرُ يَنْقَلِبُ الى هزيمة !

ولٰكنَّ حَلاوةَ هذا النَّصر لم تَدُمْ طويلاً .

ماذا حَلَّ بالمنتصِرين حتّى خسِروا النَّصْر ؟ وبماذا اسْتعَانَ المشرِكون حتّى حوّلوا هَزيمتَهم إلى نصرٍ ؟ أَلَمْ يَنْتَهِ الأَمْر ؟

إن خَطأً واحِداً يرْتكِبه المُحارِب قدْ يُبَدِّلُ وَجْه المعركةِ ، وهذا ما كان في أُحدٍ .

في الوقتِ الذي كان المُشرِكون يَنْسَحِبون ، تارِكينَ أَمْتِعَتَهم ، غنائِمَ مُستَباحةً لِلمسلمين ، وفي الوقتِ الذي كانَتْ نِسْوَةُ قُرَيْشٍ فيه يُرِدْنَ الهُروبَ مِنَ الأَسْرِ والسَّبْيِ ، ترَكَ رُماةُ المُسلمينَ الجَبَلَ ، وانْضَمُّوا الى أَصحابِهِم ، طَمعاً باقْتِسامِ الغنائم ، مُخالِفين أَمْرَ الرَّسولِ بأَنْ يَثْبُتوا في مكانِهم مهما كانتْ نَتيجةُ المعركة ، وبذلِكَ خلا ظَهْرُ المسلمين مِنَ الحِمايةِ ، وأَصبحوا

هَدَفاً لهُجومٍ يأْتيهم مِنْ ورائِهم بَغْتَةً .

كانَتْ عينا خالِدِ بْنِ الوليد تَرْصُدانِ كُلَّ حَركة يأتي بهـــا المُسْلِمون ، فلمَّا رأى أَنَّ رُماتَهم أَخْلَوْا أَماكِنَهم ، أَدركَ بِعَيْنِ القائدِ البَصيرِ أَنَّ الفُرصَةَ قد سَنَحَتْ له بأَن يَقوم ، مع فُرسانِه ، بِحَرَكَةِ الْتِفافٍ ، مِنْ وراءِ الجبل ، يُمزِّقُ فيها صُفوفَ هؤُلاء المنتصِرين الذين أَطْمَعتْهم الغنائِم عن النَّظَر الى الخطَر !

وقام خالدٌ بهجومِه المُفاجِيءِ ، واندفع وراءَ المسلمين الذين غرَّهُمُ بريقُ النَّصرِ ، فإذا بهم يُصْبِحون هدَفاً لأَعدائهم ، مِنْ أَمامٍ ومِنْ وراءَ ، فاخْتلَّتْ الصُّفوفُ ، واضْطرب النَّـــاسُ ، وعادتِ المعركةُ كما بَدأَتْ من جديد .

أُقتلوا محمّداً

وهكذا انكشف المسلمون ، وأَصبَحوا هَدَفاً سَهْلاً للسُّيوفِ والرِّماحِ ، وكان ذٰلِكَ اليومُ يومَ بَلاءٍ أَكْرَم اللهُ فيه من أَكْرَمَ من المسلمين بالشَّهادة .

وكانَتْ غايةَ العدُوِّ ، هٰذه المرة ، أن يَنْسُوا محمّداً ، حتّى تعالى النِّداءُ في كلِّ جانب : اقْتُلوا محمّداً !

واندفع العدُوُّ الى حَيْثُ الرّايةُ التي تُظَلِّلُ مُحَمّداً . الأَعداءُ يُريدون رأسه بأَيِّ ثمن ، والأَنصارُ يُدافِعون عنه بأَيِّ ثمن !

إنها حَقّاً لَحْظَةٌ لا يَدْري أَحدٌ كيف تَنْتهي ؟

وبعدَ قتـــالٍ شديدٍ ، وتلاحُمٍ بِالسُّيوف ، والأَجسادِ استطاع العدوُّ أَن يصِلَ الى مكانِ مُحَمَّدٍ ،

فَرشَقُوه بالحِجارة. ، حتّى وقَع على جانِبه مَرْضُوضاً ، فَشُجَّ في وَجْهِه ، وجُرِحَتْ شَفَتُه ، وجَعَل الدَّمُ يسيلُ على وَجْهِه ، وهو يَمسَحُ الدَّمَ ، وهو يقول :

ــ كيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهم بالدَّم ، وهو يَدْعُوهم إلى رَبِّهِم ؟

فأَخذَ عليُّ بْنُ أَبي طالِب بِيَدِ رسول الله ، ورفَعه طَلْحَةُ حتّى اسْتوى قائماً ، ومصَّ مالِكُ بْنُ سِنان الدَّمَ عن وَجْهِه ، ثم ابْتلَعه ، حتّى قال الرّسول :

ــ من مسَّ دمي دَمَهُ لم تُصِبْهُ النّار .

وفي الحِينِ الذي كان العدوُّ يتزاحمُ على الوُصولِ إلى الرَّسولِ ، قامَ زِيادُ بْنُ السَّكَنِ في نَفَرٍ خَمْسةٍ من الأَنصارِ ، يُقاتِلون عنه ، ويَسْقُطون بَيْنَ يَدَيْه



يُقاتِلونَ وَيَسْقُطونَ حَتَّى أَدْرَكَتْهُمُ ٱلنَّجْدَةَ (ص ٤٠ — ٤١). ٤

رَجُلاً ثُمّ رَجُلاً ، حتّى كان آخِرَهُم زِيادٌ . فمنعُوهم عَنْه ، حتّى أَدْرَكَتْهم النَّجدةُ من فِئَةٍ مع المسلمين ، فقال الرّسول :

ــ أَدْنوا زياداً مِنِّي !

فأَدنَوه منه ، فوسَّدَهُ قَدمَهُ ، فلبِثَ تَنْزِفُ جِراحُه دماً حتّى مات وخَدُّه على قَدَمِ الرَّسول .

بُطُولَة أُمّ عُمارة

لم يكنِ الرجالُ وَحْدَهم يُحارِبون في ذٰلِك اليوم ، فإنَّ المعركةَ التي أَصبَحَتْ مَصيرِيَّةً ، بالنِّسبةِ الى نتائِجها ، حثَّتِ النِّساءَ على أَنْ يَقُمْنَ بِدَوْرِهِنّ فيها .

مِن هؤُلاء النِّساءِ أُمُّ عُمارَةَ التي خرجت أَوَّلَ النَّهار ، وهي تَنْظُر ما يَصْنَعُ النَّاسُ ، ومَعَها سِقاءٌ

فيه ماءٌ ، تَبُلُّ به شِفاهَ الجَرْحى ، حتّى انْتَهتْ الى الرَّسول ، وهو في أَصحابِه ، وكان النَّصْر قَدْ لَمعَ للمسلمين .

فلما انقلَبَ النَّصْرُ هَزيمةً انْحازَتْ الى الرَّسول ، وباشَرَتِ القِتالَ دفاعاً عنه ، وهي تَضْرِبُ بالسَّيْفِ ، وتَرْمي بِالنَّبْلِ ، حتّى سمِعَتْ صوتاً من ورائِها ينادي :

ــ دُلُّوني على مُحَمَّدٍ ! لا نَجَوْتُ إنْ نجا !

كان صاحبُ هذا الصَّوتِ ابْنَ قَمِيئَةَ ، فاعْتَرَضَتْ أُمُّ عُمارةَ لِصاحِبِ الصَّوْتِ ، ورَدَّته عن هَدَفِه ، فضَربها ضَرْبَةً جَرَحَها بِها ، ولكنَّها رَدَّتْ على ضَرْبتِه بِضَرَباتٍ ، ولولا أَنَّ دِرْعَه كانَتْ مُضاعَفةً بِدِرْعٍ أُخرى لَقَضَتْ علَيْه .

وهكذا ، بفضلِ هؤلاء المؤمنين والمؤمنات الذين أَرْخَصوا الرُّوحَ في سبيلِ الله ، ونَصْرِ رسولِه ، نجا مُحَمَّدٌ من القتل .

وهذا بطـــل آخر

نادى منادي المشركين :

ـــ إنَّ محمّداً قد قُتِل !

نداءٌ هزَّ المشركين فرحاً ، وأرخى ظِلاًّ مِنَ الكآبةِ على المسلمين . وكادَتْ هذه الكآبةُ ان تستحيل الى يأسٍ واسْتِسلامٍ . لولا نَفَرٌ من المسلمين فَضَّلوا المَوْتَ على الاسْتِسلام .

هذا أَنَسُ بنُ النَّضر أَحد أبطالِ ذلِكَ اليوم !

لقد تخلَّفَ أَنسٌ عن القِتال يَوْمَ بَدْرٍ ، وندِمَ

على تَخَلُّفِه ندماً شديداً ، حتّى اعْتزلَ قَوْمَه خجلاً ، وهو يُقْسِم بأنه لَنْ يَغْفِرَ لِنَفْسِه هذا الذَّنْبَ حتّى يَحْضُر يوماً كيومِ بَدْرٍ .

كان الرسولُ لا يَلْمَحُه إلّا معتزِلاً وحده ، حتّى أَشْفق عليه ، وسأله مرَّة :

ــ ما أَمْرُكَ يا أَنس !

فقال أنس :

ــ يا رسولَ الله ! غِبْتُ عن أَوَّلِ قِتالٍ قَاتَلْتَ فيه المشركين ، لَئِنْ أَشْهدني اللهُ قِتالَ المشركين لَيَرَينَّ اللهُ ما أَصْنَع .

فهِمَ الرسول غايتَه ، وبارَكَ عزيمته ، وقال :

ــ سَيجْزِيك اللهُ بِحَسْبِ نِيَّتِك لِكُلِّ امرئٍ

ما نوى !

ولما بزغ الفَجْرُ من وراءِ أُحُـــدٍ ، على قَعقَعةِ السِّلاح ، وأَصواتِ الرجال ، وصهيلِ الخَيْـــلِ ، تيقَّظ كُلُّ ثَـأْرٍ قديم ، وكلُّ عداوةٍ سابقةٍ ، فوَدَّ أَنَس قَبْلَ زَحْفِه إِلى القِتال أَنْ يُكلِّم الرسولَ ، فيكتَسِبَ منه دَعْوةً صالِحةً ، لكنَّ الزِّحامَ شديدٌ ، والغُبارَ ساطِعٌ ، والعدُوَّ راصِدٌ يَترقَّب ، والرسولَ قد وزَّع عَقْلَه هنا ، وقَلْبَه هُناك . وقد مشى أَمامَه الأَبطالُ الى ساحةِ القتال ، فأَدرك أَنسٌ أَنَّ اللقاءَ به مُحالٌ ، فانْطلَق زاحفاً إِلى صفوفِ المشركين ، يَضْرِبُ بِيَدَيْه ، وبِسيفِه ، وفَرسِه .

وكأَنّ الأَقدارَ أَرادَتْ أَنْ تَنْتقِم له انْتقاماً حسناً ،

فلم تُظْهِرْ ثباتَه وبأْسَهُ وصِدْقَه في جمعٍ ظَفِرَ ، لكنْ في جمعٍ تفرَّقَ ، بَعْدَ النَّصْرِ ، وانكسر . فَكِرامٌ من الصّحابةِ يَذودون عن النَّبِي بأَرواحِهم وأَجسادِهم ، وكرامٌ من الصَّحابة شَدُّوا على العَدُوِّ المُحيطِ بهم ، وقد أَبَتْ لهم عَقيدتُهم أَنْ يَنْهزموا ويَسْتَسْلِموا .

كان أَنسٌ جيشاً وَحْدَه !

ظَلَّ أَنَسٌ يَصولُ ويَجولُ ، وما زَادَتْه جِراحاتُه الكثيرةُ الّا زِيادةً في الثَّبات ، وما زادتْه ثُيابُه الحُمْرُ إلّا اسْتِقتالاً وطَمَعاً بالشهادة . فحيثُما يَطَأْ يَجِدْ صَحابِياً جريحاً يئِنّ ، وأَيان يتوجَّهْ يَرَ قتيلاً توسَّد التُّرابَ .

وهو يخاطِبُ نفسَه :

ـ بادِرْ يا أَنَسُ ! فهذا هُوَ يَوْمُ الأَجْرِ الأَكْبَر ، وهذا هُوَ يُوْمُ الرِّضْوانِ ، ماذا يَنفَعُكَ تأْجيلُ المَوْتِ ، وفي الموتِ حياة ؟

وإنــــه لَيُحَدِّثُ نفسَه بهذا الحديث ، يَستَقْبِله سَعْدُ بنُ مُعاذ ، فيقول له :

ـ يا سَعْدُ ! إِنَّها الجَنَّــةُ ، إنّي لأَجِدُ رِيحَها مِنْ وَراءِ أُحدٍ .

ثمّ يلتَفِتُ أَنَسٌ إلى قومه الذين انْهزَموا ، فيقول :

ـ أَللّهمَّ ! إِنّي أَعْتَذِرُ إِليكَ مِمَّا صَنَع هَؤُلاء .

ويلتَفِتُ إلى المُشْرِكين ، فيقُولُ :

ـ وأَبْرأُ إِليك مِمَّا صَنَع هؤُلاء .

ثُمّ يحمِلُ مُقْتَحِماً صَفًّا مِنَ المُشْرِكينَ المُضَرَّجَةِ

سُيوفُهم بِدِماءِ أَصْحابِه ، فلاَ يَزالُ ماضِياً في حَمْلَتِه ، وَقَدْ عَجزَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ رَدِّهِ ، حتَّى تَغَيَّبَ عَنْ عُيونِ هؤُلاءِ وَهَؤُلاء .

يَوْمَ بِيَوْمِ بَــدْر

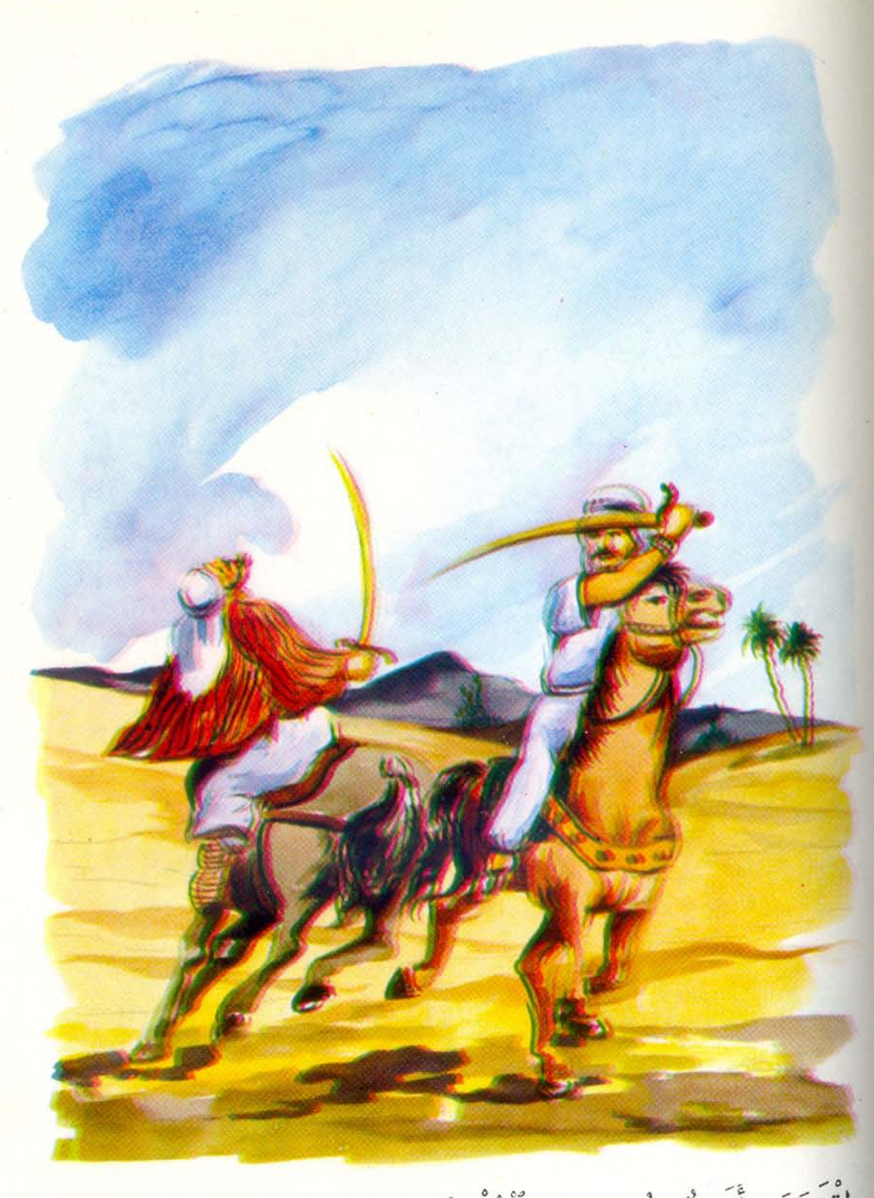
انْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ ، وقَدْ بَذَلَ فِيها الْفَريقانِ مِنْ فِلْذاتِ الأَكْبادِ والأَوْلادِ لهَا طَعاماً ، وهَيْهاتَ أَنْ تَشْبَع .

وَبعْدَما ساد الصَّمْتُ الحَزينُ قـامَ أَبو سُفيانَ ، فَنادى :

ــ أَفي القَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟

فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَــدٌ .

ــ أَفي القَوْمِ أَبو بَكْرٍ ؟ أَفي القَوْمِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ؟



إِقْتَحَمَ أَنَسٌ صُفوفَ ٱلْمُشْرِكين . (ص ٤٧)

فلَمْ يُجِبْهُ أَحدٌ ، فقال :

ــ أَمَّا هَؤُلاءِ فقَدْ قُتِلُوا .

فلا يَمْلِكُ عُمرُ صَبْراً على هذا القَوْلِ ، فصَاحَ :

ــ كَذَبْتَ ، واللهِ ، يا عَدُوَّ اللهِ ! إِنَّ الَّذينَ عَدَدْتَ هُمْ أَحياءٌ كُلُّهُمْ . إِنَّهُمْ أَحياءٌ حَقًّا . إِنَّ الْحياةَ هِيَ الَّتي أَنْطَقَتْ عُمَرَ بِالرَّغْمِ عَنْ نَهْيِ الرَّسولِ . وَهَلْ يُخْنَقُ لِلْحياةِ صَوْتٌ ؟

ــ إِنَّ هَؤُلاءِ أَحياءٌ ، والذينَ اسْتُشْهِدوا مِنْهُم أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

فأَجابَهُ أَبو سُفْيانَ :

ــ يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، والْحَرْبُ سِجالٌ ، مَرَّةً لَنا ، وَمرَّةً عَلَيْنا . إِنَّكمْ سَتَجِدونَ في ٱلقَتْلى تَشْويهاً لَمْ

آمُرُ بِه ، ولَكنَّه لَمْ يَسُؤْني ، أُعْلُ هُبَلُ ! أُعْلُ هُبَلُ !

فَأَجابَهُ عُمَرُ :

ـ أَللهُ أَعْلى وأَجلُّ . إِنَّ قَتْلانا في الْجَنَّةِ ، وَقَتْلاكُمْ فِي ٱلنَّارِ .

فقالَ أَبو سُفْيانَ :

ـ إِنَّ لنا العُزَّى (اسم صَنَمٍ مَعْبودٍ في ٱلجاهِلِيَّةِ) وَلا عُزَّى لَكُمْ .

فأَجابَهُ عُمَرُ :

ـ أَللهُ مَوْلانا ، ولا مَوْلىً لَكُمْ .

فقالَ له أبو سُفْيانَ :

ـ هَلُمَّ إِلَيَّ يا عُمَرُ !

فقالَ ٱلرَّسولُ لِعُمَرَ :

— إِذْهَبْ إِلَيْهِ ، فانْظُرْ ما شَأْنه !

فجاءَهُ عُمَرُ ، فقالَ له أَبو سُفْيانَ :

— أَنْشُدُكَ اللهَ يا عُمَرُ ، هَلْ قَتَلْنا مُحَمَّداً ؟

قال عُمَرُ :

— أللّهمّ لا .. وإِنّه لَيَسْمَعُ كلامكَ الآن .

قال أبو سُفْيانَ :

— أَنتَ أَصْدَقُ عِنْدي مِنِ ابْنِ قَمِئَةَ وأَبَرُّ ... إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعامِ القابِلِ .

فقال عُمَرُ :

— نَعَمْ ، هُوَ بَيْنَنا وَبيْنَكُمْ مَوْعِدٌ .

وتَنْتَهي هذِهِ المُحاوَرَة ، ويعودُ أَبو سُفْيانَ إِلى قَوْمِه ، وقد شَفَوْا قُلوبَهُمْ ، وغَسلُوا عارَ

يَوْمِ بَدْرٍ عَنْهُم ، لكِنَّهُمْ لَمْ يَصِلوا إلى غايتِهِمْ في قَتْلِ مُحَمَّدٍ .

أيْنَ أَنَسٌ ؟

هَبَّ الْمُسْلِمونَ يتلَمَّسون قَتْلاهُمْ ، ويَرْفعونَ جَرْحاهُمْ ، وقَدْ راعَهُمْ أَنْ يُمَثِّلَ أعْداؤُهُمْ بِالشُّهَداءِ مِنْهُم ، وَهُمْ لَوْ أَرادوا تَمْثيلاً بِهِمْ لَفَعَلوا ، ولكِنَّ الإِسْلامَ يَمْنَعُ أَصْحابَهُ عَنْ تَشْوِيهِ جُثَثِ الْقَتْلى بَعْدَ الْمَوْتِ .

ولَبِثَ النَّبِيُّ في مَكانِهِ ، يُعالِجُ نَزيفَ جِراحِهِ ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ جُثَّةَ عَمِّهِ حَمْزَةَ ، وَقَدْ أَحْزَنَهُ أَنْ يَلْقى مَصْرَعَهُ بِحَرْبَةٍ غادِرَةٍ ، فجاءَتِ الْجُثَّةُ بِلا كَبِدٍ ، والْوَجْهُ قَدْ شُوِّهَتْ ملامِحُهُ ، فَصَمَتَ النَّبِيُّ أَمامَ هذا

الْمَشْهَد حَزيناً ، وَقَدْ حَجَبت هَذِهِ المُصيبَةُ غَيْرَها مِنْ مصائِب ذٰلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْؤُوم . فكانَتْ مَبْعَثَ أَلَم وَمَبْعَث تَعْزِيَةٍ لِلْمُصابِينَ .

وَجَمَعَ الْمُسْلِمونَ جُثَثَ قَتْلاهُمْ ، يَدْفِنُونَها مُتَراكِمَةً في مَوْضِعِ الْمَعْرَكَةِ . فكانَ ٱلرَّسولُ يَنْظُرُ إلى الَّذِينَ يُغَيِّبُهُمُ التُّرابُ ، إلى ٱلأَبَدِ ، نَظْرَةً صامِتَةً ، وَعَيْنُهُ لا تَتَمَثَّلُ إلَّا مَصْرَعَ عَمِّهِ حَمْزَةَ .

لَمْ يَعُدْ أَنَسٌ جَريحاً ، ولَمْ تَظْهَرْ جُثَّتُه في أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ ، وقَدْ ذَهَبَتْ أُخْتُـــه تَتَحَرَّى عَنْهُ بَيْنَ ٱلقَتْلى . . . حَتَّى وقَعَتْ على قَتيلٍ خَفِيَتْ تَقاسيمُ وَجْهِهِ ، وذَهَبَ جِلْدُهُ مِزَقـــاً ، وَفي بَدَنِه بِضْعَةٌ وَثَمانُونَ جُرْحاً مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ ، وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ ،

وَرَمْيةٍ بِسَهْمٍ .

أَهٰذا هُوَ أَنسٌ صريعاً ، لَكِنَّ وَجْهَهُ لا يُفْصِحُ عَنْهُ ، وَبدَنَهُ لا يَدُلُّ على بَدنِهِ . لَكِنَّ هَذِهِ إِصْبِعُهُ قد أَبْقى عَلَيْها الأَعْداءُ ، وَلَمْ يَمَسُّوها بِسُوءٍ . لَقَدْ شَوَّهوا جَسَدَهُ ، كَما أَرادوُا ، بَعْدَ أَنْ مَلأَهُمْ قِتالُهُ غَيْظاً وَحِقْداً .

رَحِمَكَ اللهُ يا أَنَسُ ! لقد وَفَيْتَ بِعَهْدِكَ الَّذي عَاهَدْتَ ، وأَدْرَكْتَ الأَجرَ الَّذي طَلَبْتَ ، وَصِرتَ إِلى الجَنَّةِ الَّتي شَمَمْتَ رِيحَها مِنْ وراءِ جَبَلِ أُحدٍ .

لَمْ يُقْتَلْ حَمْزَةُ وَحْدَهُ ، وَلَمْ يُقْتَلْ أَنسٌ وَحْدَهُ ، بَلْ قُتِلَ مَعَهُما رِجالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدوا اللهَ عَلَيْهِ ، وَهؤُلاءِ هُمُ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ ما عَاهَدُوا عَلَيْهِ .

قَتيلُ الْخَطَـــأ

كانَ في أَصْحابِ مُحَمَّدٍ شَيْخانِ كَبِيرانِ ، لَبِثَا في الْجَبَلِ مَعَ النِّساءِ والصِّبْيانِ . فلَمَّا وَجدَا أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدْ بدَأَتْ ، وهُما قاعِدان ، قالَ أَحَدُهُما للآخَر :

ــ لا أَبالَكَ ! ماذَا نَنْتَظِر ؟ لَيْسَ لنـــا أَمَلٌ في الحياةِ بَعْدَ الْيَوْمِ . أَفلا نَأْخُذُ أَسْيافَنا ، ثُمَّ نَلْحَقُ بِالنَّبِيِّ ، لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقنا الشَّهادَةَ مَعَهُ ؟

فأَخذَا أَسْيافَهُما ، ثُمَّ خَرجَـــا ، حتَّى دَخلا في الْمُحاربينَ ، دُونَ أَنْ يَدْرِيَ أَحَدٌ بِهِما . فَأَمَّا الأَوَّلُ فَقَدْ قَتَلَهُ الْمُشْرِكونَ ، وأَمَّا الثاني فَقَدْ قَتَلَتْهُ أَسْيافُ الْمُسْلِمينَ خَطَأً ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوهُ . فقالَ ٱبْنُـهُ :

ــ أَبي ! قَتَلْتُمُوهُ بِأَسْيافِكُمْ .

فقالوا :

ــ ألآنَ عَرَفْناهُ ... ولَا حِيلَةَ لنا في أَمْرِهِ .

فقالَ :

ــ يَغْفِرُ اللهُ لكم ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

فلمَّا عَلِمَ الرَّسولُ بأَمْرِهِ ، أَرادَ أَنْ يَدْفَعَ دِيَتَهُ لِابْنِهِ ، لٰكِنَّ ابْنَهُ أَبى ، وَأَخذَ الدِّيَةَ ، فَتَصَدَّقَ بِها على المُحْتاجِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ ، فَمَا زادَهُ ذٰلِكَ ، عِنْدَ الرَّسولِ ، إِلَّا خَيْراً .

دَخلَ الجَنَّةَ بِــلا صَلاة

وَهٰذا شَهيدٌ آخَرُ وَجبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَلَمْ يُصَلِّ في حَياتِهِ ، فَمَنْ هُوَ صاحِبُ هَذِهِ الشَّهادَةِ ؟

إِنَّه الأُحَيْرِمُ ، الَّذي كانَ يَأْبى الإِسْلامَ ، وَيُحَذِّرُ

قَوْمَه مِنِ اعْتناقِ الإِسْلامِ .

كانَ في الْمَدِينَةِ ، حِينَ عَلِمَ بِخُروجِ الرَّسولِ إلى أُحدٍ ، فَفَكَّرَ في أَمرِه قليلاً ، وبَدا لَهُ أَنْ يَدْخُلَ الإِسْلامَ . فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ، فَعَدا ، حتَّى دَخَلَ في صُفوفِ المُسْلِمينَ ، وقَاتَلَ مَعَهُمْ ، حتَّى أَصابَهُ جُرْحٌ أَقْعَدَهُ عَنِ القِتالِ .

وبَيْنما كانَ رِجالُ قَبيلتِهِ يَلْتَمِسونَ قَتْلاهُمْ في المَعْرَكَةِ ، وَجَدُوهُ جَريحاً ، فَعَجِبوا مِنْ أَمْرِهِ ، وقالـــوا :

ــ إِنَّ هذا هُوَ الأُحَيْرِمُ ، ماذا جاءَ بِكَ إلى الْمَعْرَكَةِ ؟ وَقَدْ تَرَكْناكَ مُنْكِراً لِلأَسْلامِ ؟ أَعَطْفاً على قَوْمِكَ ؟ أَمْ رَغْبَةً في الإِسْلامِ ؟

قال ، وَهُوَ يَتَنَفَّسُ بِتَثاقُلٍ ، وكانَ آخِرُ قَوْلٍ تَلَفَّظَ بِـه :

ـــ بَلْ رَغْبَةً في ٱلأُسْلامِ ، آمَنْتُ باللهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفي ، فَغَدَوْتُ مَعَ الرَّسولِ ، ثُمَّ قَاتَلْتُ حَتَّى أَصابَني ما أَصابَني .

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جادَ بِرُوحِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِم ، فَذَكَرُوه لِلرَّسولِ ، فقال :

ـــ طوبى لَهُ ! إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ ٱلجَنَّةِ .

لَيْسَ عَلَى الأَعْرَجِ قِتـــالٌ !

كانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَجُلاً أَعْرَجَ ، شَديدَ الْعَرَجِ ، وكانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلُ الأَسَدِ في الجُرْأَةِ ، يَشْهَدونَ مـعَ الرَّسولِ مَشاهِدَ القِتالِ ، فلَمَّا كانَ

يَوْمُ أُحدٍ أَرادَ أَولادُهُ حَبْسَهُ وَمَنْعَهُ عَنِ الخُروجِ مَعَهُمْ لِعَرَجِهِ ، وقالُوا لَهُ :

ـ إِنَّ اللهَ قَدْ عذَرَكَ عَنِ الْخُروجِ لِعَرَجِكَ .

فَتحامَلَ على نَفْسِه ، وأَتى رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ :

ـ إِنَّ أَوْلادي يُريدونَ أَنْ يَحْبِسوني عَنِ الخُروجِ مَعَكَ لِعَرَجي ، فَواللهِ ، إِنِّي لَأَرْجو أَنْ أَطأَ بِعَرْجَتي هَذِهِ في الجَنَّةِ .

فَضَحِكَ الرَّسولُ وقال :

ـ أَمَّا أَنْتَ ، فَقَدْ عذَرَكَ اللهُ لِعَرَجِكَ ، فلا جِهادَ عَلَيْكَ .

والْتَفتَ إلى أَوْلادِه ، فقال :

ـ ما عَلَيْكُمْ أَلَّا تَمْنَعُوهُ . لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهادةَ .

فخَرَجَ الأعرجُ مَعَهُ إلى القِتالِ ، وقاتلَ حتّى قُتِلَ في ذلِكَ اليَوْمِ .

على جُثَّةِ حَمْزَةَ

وخَرَج رَسُولُ اللهِ يَلْتَمِسُ جُثَّةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوادي ، وقَدْ شُوِّهَتْ ملامِحُ وَجْهِهِ تَشْويهاً فَظيعاً . فقالَ حِينَ رأى ما رأى :

ــ لَوْلا أَنْ تَحْزَنَ أُخْتُه صَفِيَّةُ ، وَيَكُونَ سُنَّةَ مَنْ بَعْدي ، لَتَرَكْتُهُ ، حتَّى يَكونَ في بُطُونِ السِّباعِ ، وحَواصِلِ الطَّيْرِ ، ولٰكِنْ ، إذا أَظْفَرَني اللهُ على قُرَيْشٍ في لِقاءٍ آخَرَ ، لَأُشَوِّهَنَّ ملامِحَ ثلاثِينَ رُجلاً مِنْهُمْ .

ولَمَّا رأَى المُسْلِمونَ حُزْنَ الرَّسولِ علَى عَمِّهِ ،

وَغَيْظَهُ على مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ ما فعل ، قالوا جَميعاً :

ــ واللهِ ، لَئِنْ أَظْفَرنا اللهُ بِهِمْ يوماً مِنَ الدَّهرِ ، لَنُشَوِّهَنَّهُمْ تَشْويهاً لَمْ يَفعَلْهُ أَحدٌ مِنْ العَرَبِ .

ولكِنَّ هذا التَّهديدَ لَمْ يَكُنْ إلَّا ابْنَ ساعَتِهِ ، لِأَنَّ الرَّسولَ لَمْ يَلْجَأْ في حَربٍ مِنْ حُروبِهِ مَعَ قُرَيْشٍ وغَيْرِها إلى التَّشْويهِ .

ثُمَّ أَمرَ الرَّسولُ بِحَمْزَةَ ، فَغَطَّاهُ بِبُرْدَتِهِ ، ثم صلَّى عَلَيْهِ ، فكبَّرَ سَبْعَ تَكبيراتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يُوضَعَ القَتْلى في حُفرَتِهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِم ، وعلَيْهِ مَعَهُمْ .

وإِنَّهُمْ على هٰذِهِ الحَالَةِ إِذْ أَقْبَلَتْ صَفِيَّةُ أُخْتُ حَمْزَةَ ، لِتَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فقالَ الرَّسولُ لِابْنِها الزُّبَيْرِ :

ــ إلقَها فأَرْجِعْها ، لا تَرَى ما حَلَّ بِأَخِيها .

فَذَهبَ ٱلوَلَدُ إلى أُمِّهِ ، وقالَ لها :

ــ يا أُمَّاهُ ! إنَّ رسولَ اللهِ يَأْمُرُكِ أَنْ تَرْجِعي .

فقالَتْ :

ــ ولِماذا أَرْجِعُ ؟ وَقَدْ بلَغَني أَنَّهُمْ قَدْ شَوَّهُوا أَخي وَمَثَّلُوا بِهِ ، وما كانَ ذٰلِكَ إلَّا في سَبيلِ اللهِ . فَما أَرْضانا بِما كانَ مِنْ ذٰلِكَ ! لَأَصْبِرَنَّ على ما أَصابَهُ إنْ شاءَ اللهُ .

فعادَ ٱلزُّبَيْرُ إلى الرَّسولِ ، وأَخْبرَه بِذٰلِكَ ، فقال :

ــ إذاً ، خَلِّ سَبيلَها !

فَأَتَتْ ، وَنظَرَتْ إلى أَخيها ، فَصَلَّتْ عَلَيْهِ ، واسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ أَمر الرَّسولُ بِدَفْنِهِ ، وَهُوَ واقِفٌ يَنْظُرُ إلى التُّرابِ يُغَطِّي جُثَّتَهُ . ثُمَّ الْتفت

إلى أصْحابِه ، مُشيراً إلى القَتْلى ، وقال :

ــ أنا شَهيدٌ على هؤُلاءِ . ما مِنْ جَريحٍ يُجْرَحُ في سَبيلِ اللهِ ، إلّا واللهُ يَبْعَثُـــهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، يَدْمى جُرحُهُ . أللّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ . أُنظُروا أكْثَرَ هؤُلاءِ جَمْعاً لِلقُرآنِ ، فاجْعَلوهُ أَمامَ أَصحابِهِ في القَبْرِ .

وكانوا يَدْفِنون الاثْنَيْنِ والثَّلاثَةَ في القَبْرِ الواحِدِ .

لكِنْ حَمْزَةُ لا بَواكِيَ لَهُ !

وأَثْناءَ عَوْدَةِ الرَّسولِ إلى المَدينَةِ ، مَرَّ بِدارٍ مِنْ دُورِ الأنصارِ ، فَسَمِعَ البُكاءَ والنَّوائِحَ على قَتْلاهُمْ ، فَذَرَفَتْ عَيْنا رسولِ اللهِ الدَّمعَ ، فبكى ، ثُمَّ قال :

ــ إنَّ هؤُلاءِ يَبْكينَ قَتْلاهُمْ ، لَكِنَّ حَمْزَةَ

لا بَواكِيَ لهُ .

وما هِيَ إِلَّا لَحَظاتٌ ، حتَّى تحَزَّمت النِّساءُ ، وذَهَبْنَ ، يَبْكِينَ على عَمِّ رسولِ اللهِ .

ثُمَّ مرَّ الرَّسولُ بامْرأةٍ مِنْ بني دِينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُها وأَخوها وَوَلَدُها مَعَ الرَّسولِ ، فلمَّا نُعُوا لهَا ، قالَتْ :

ــ لا أَسأَلُكُمْ عَنْ أَهْلي ، أَخْبِروني ما فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ؟

قَالوُا :

ــ إِنَّه بِحَمْدِ اللهِ كَما تُحِبِّينَ .

قالَتْ :

ــ أَرُوني إِيَّاهُ ، حتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِي .

فأشاروا لها إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَمُرُّ ، حتَّى إذا رَأَتْه اطْمَأَنَّتْ نَفْسُها وقالت :

ــ كُلُّ مُصيبةٍ بَعْدَكَ صَغيرَةٌ .

ولمَّا انتهى الرَّسولُ إلى أَهْلِهِ ناوَلَ سَيفَهُ ابْنَتَهُ فاطِمَةَ ، فقال :

ــ إِغْسِلِي عَنْ هذا دَمَهُ يا بُنَيَّتي ! فَواللهِ لَقَدْ صَدَقَني اليَوْمَ .

وناوَلَها عَلِيُّ بْنُ أَبي طالبٍ سَيْفَه ، فقال :

ــ وَهَذا أَيْضاً ، فاغسِلِي عَنْهُ دَمَــهُ ، فواللهِ لَقَدْ صَدَقَني الْيَوْمَ .

فقالَ الرَّسولُ :

ــ لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ القِتالَ ، لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ

رِجالٌ أَبْطالٌ ... لَنْ يُصيبَ المُشرِكُون مِنَّا ما أَصابُوهُ هٰذا اليَوْمَ ، حتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْنا .

أَجَلْ ، لَقَدْ وَعَدَ الرَّسولُ نفسَهُ بيَوْمِ الفَتْحِ ...

فَهَلْ يَوْمُ الفَتْحِ قَريبٌ ؟

خُروجُ الرَّسولِ في أَثَرِ العَدُوِّ

لٰكِنَّ الرَّسولَ ، لَمْ يَبِتْ ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُطْمَئِنّاً ، فَقَدْ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَنَّ أَعداءَهُ قَدْ يُعاوِدُونَ الكَرَّةَ على المَدينةِ ، مُسْتَغِلّين نَصْرَهُمْ . فَكَّرَ طَويلاً ، وبدَا لَهُ أَنْ يَأْمُرَ أَصحابَهُ بِالخُروجِ في آثارِهِمْ ، لِيُرْهِبَهُمْ . فأَذَّنَ مُؤَذِّنه بِالخُروجِ ، على أَلَّا يَخْرُجَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ أُحدٍ بِالأَمسِ مَعَهُ .

هَلْ يَعُودُ يَوْمُ أُحدٍ مَرَّةً ثانيةً ؟

دَنا جابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مِن الرَّسولِ ، وقالَ له :

— يا رسولَ اللهِ ! إِن أَبي كان خَلَّفَني على أَخَواتٍ لِي سَبْعٍ ، وطَلَبَ إِلَيَّ أَلَّا أَتْرُكَ هؤُلاءِ النِّسْوَةَ ، ولا رَجُلَ فِيهِنَّ . ولَسْتُ بِالَّذي يَتَخَلَّفُ عَنْكَ طَمَعاً بِالْهرَبِ مِنْ المَوْتِ .

فَأَذِنَ لَهُ الرَّسولُ بالخُروجِ فَخَرَجَ مَعَهُ . وَإِنَّما فَعَلَ الرَّسولُ ذٰلِكَ لِكَيْ يُرْهِبَ الأَعداءَ ، وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ في طَلَبِهِمْ دُونَ أَنْ تُضعِفَهُم الْهَزِيمةُ ، ولِيظُنُّوا أَنَّ بِهِ قُوَّةً لا تزالُ صامِدةً ، قادِرَةً على القِتالِ ، وأَنَّ الَّذي أَصابَهُمْ لَمْ يُضْعِفْ عَزيمَتَهُمْ ، ولَمْ يُقْعِدْهُمْ عَنْ لِقاءِ عَدُوِّهِمْ كَرَّةً ثانِيةً .

وقَدْ صَدق الرَّسولُ فيما ظَنَّهُ ، لِأَنَّ أَبا سُفيانَ

وأَصْحَابَهُ قَدْ أَجمَعُوا الرَّجْعَةَ إِلى الرَّسولِ وأَصْحابِه ،

وقالوا :

ــ لَقَدْ أَصبْنا أَصْحابَهُ وأَشْرافَهُمْ وَقادَتَهُمْ ، فَلِماذا نَرْجِعُ قَبْلَ أَن نَسْتأْصِلَهُمْ ؟ هَلُمُّوا نَكِرَّ على بَقِيَّتِهِمْ ، وَنَقْطَعْهُمْ مِنَ الْحياةِ .

وإِنَّهُمْ في طريقِ الرَّجْعَةِ لَقِيَهُمْ مَعْبَدُ الْخُزَاعِيُّ ، فَسأَله أَبو سُفيانَ :

ــ ما وراءَكَ يا مَعْبَدُ ؟

قال :

ــ وَيْحكُمْ ، أَلَا تعْلَمون ؟ مُحَمَّدٌ قد خَرَجَ في أَصْحابِهِ يَطْلُبُكُمْ في جَمْعٍ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَطُّ ، يَتَحَرَّقُونَ على قِتالِكُمْ تَحَرُّقاً . وَقَدِ اجْتَمع مَعَهُ مَنْ كانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ

في ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَنَدِموا على ما صَنَعُوا ! ، وَفيهِمْ مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْكُمْ شيْءٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قطُّ .

قال أَبو سُفيانَ :

ــ وَيْحَكَ ! ماذا تَقولُ ؟

قالَ مَعْبَدٌ :

ــ واللهِ ، ما أَرى إِلَّا لَحْظَةً ، حتَّى أَرى نَواصِيَ الْخَيْلِ تُحيطُ بِكُمْ .

قال أَبو سُفيانَ :

ــ واللهِ ، لَقَدْ أَجْمَعْنا الرَّجْعَةَ إِلَيْهِمْ ، والْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، لِنَسْتَأْصِلَ بَقِيَّتَهُمْ .

فقالَ مَعْبَدٌ :

ــ إِذا أَرَدْتُمُ السَّلامَةَ بِأَنْفُسِكُمْ فارْجِعُوا

إلى مكَّةَ . قَبْلَ أنْ يَغصَّ هٰذا الْوادي بالرِّجالِ .

وعِنْدَ ذٰلكَ ، أمر أبو سُفيانَ أَصْحابَهُ بِالرَّحيلِ .

ألحَذَر يَدْفَعُ الْقَدَر !

وَحِينَ أَقْبلَ الرَّسولُ وأَصْحابُهُ في أَثَرِ الْقَوْمِ ، لَمْ يجِدوا إلَّا غُباراً بَعيداً يَكادُ يَسُدُّ ٱلآفاقَ ، فأَدْرَكوا أَنَّ الْقوْمَ قد هابوا لِقاءَهُم مَرَّةً ثانِيةً ، وفَضَّلوا الارْتِحالَ .

وفَجْأَةً ، وَجَدوا رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكينَ ، يَقْفِزُ على غَيْرِ هُدًى ، يُريدُ اللَّحاقَ بِقَوْمِهِ ، فَأَمْسَكوا به ، فإذا هُوَ شاعِرُ قُرَيْشٍ أَبو عَزَّة الجُمَحِيُّ الذي كان أُسِرَ يَوْمَ بِدْرٍ ، وَمَنَّ الرَّسولُ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ لِفَقْرِهِ وَسُوءِ حالِهِ ، على أَلَّا يَعودَ إلى حَرْبِهِ بِلِسانِهِ

أَوْ سَيْفِهِ .

عَرَفَهُ الرَّسولُ ، وقالَ له :

ــ أَهٰذا هُوَ عَهْدُكَ يا أَبا عَزّةَ ؟

فتباكى الرّجُلُ ، وأَظْهَر نَدَمَهُ على ما فعل ، وقال :

ــ أُعفُ عَني يا رسولَ اللهِ ! إِنّ القَوْمَ قد أَكْرَهُوني على الْخُروجِ مَعَهُمْ .

فقالَ الرَّسولُ :

ــ وَهَلْ أَكْرَهوكَ على أَنْ تَخْرُجَ إِلى الْقبائِلِ ، وَتُحَرِّضَ النَّاسَ عَلَيَّ ؟

فقال أَبو عَزَّةَ :

ــ خَطِيئَةٌ أَطْمَعُ بِأَنْ تَغْفِرَها لي . وَمِثْلُكَ مَنْ يَعْفو وَيَغْفِرُ .

فقالَ الرَّسولُ :

ـ إنَّ ٱلموْمِنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مرَّتيْنِ ... واللهِ ، لَنْ أَتْرُكَكَ سالماً لِتَعُودَ إلى مَكَّةَ ، وتَمْسَحَ شارِبَيْكَ فيها وتَقولُ : خَدَعْتُ مُحَمّداً مرَّتَيْنِ .

والتَفَتَ إلى الزُّبَيْرِ ، وقال له :

ـ إضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنافِقِ !

وهَكذا انْتهى يَوْمُ أُحدٍ الذي كانَ يَوْمَ بلاءٍ وَمُصِيبَةٍ واْختِبارٍ ، إبْتلى اللهُ بِهِ الْمُؤْمنينَ ، وامْتَحَنَ بِهِ الْمُنافِقينَ ، مِمَّنْ كان يُظْهِرُ ٱلإيمانَ بِلِسانِهِ ، وَهُوَ يُخْفي ٱلكُفْرَ وٱلشَّرَّ في قَلْبِهِ .

إنَّهُ يَوْمٌ أَكْرَمَ اللهُ فِيه مَنْ أَرادَ كرامَتَه بِالشَّهادَةِ .

الدَّرْسُ الأَكْبَرُ

لقَدْ كانتْ هَزيمــةُ الْمُسْلِمينَ ، بَعْدَ انْتِصارِهِمْ ، مُفاجَأَةً خطيرةً ، وأَيَّةُ مُفاجَأَة ! فَهَلْ تعودُ أَسْبابُ الْهَزيمَةِ إلى كَثْرةِ المُشْرِكينَ ، وَقِلَّةِ عَدَدِ المُسْلِمين ؟

إنَّ المسلمين لَمْ يَهْتَمُّوا يَوْماً بِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، وكَثْرَةِ أَعدائِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدونَ بِـأَنَّ النَّصْرَ هُوَ نَصْرُ الإِيمانِ ، لا نَصْرُ كَثْرَةِ الرِّجال .

وَفي الْحَقِّ أَنَّ سَبَبَ هزيمَةِ المُسْلِمينَ لا يَعودُ إلى ضَعْفٍ في قُوَّتِهِمْ ، ولا إلى قِـلَّةٍ في عَدَدِهِمْ ، وإِنَّما يعودُ السَّبَبُ الأَوَّل الى أَنَّ الرُّماةَ الَّذينَ أَوْصاهُمُ الرَّسولُ بِلزومِ الثَّباتِ في أَماكِنِهِمْ قَدْ خالَفوا الْوَصِيَّةَ ، وَتَرَكوا أَماكِنَهُمْ أَملاً في أَنْ يَكونَ لَهُمْ رِبْحٌ في المَغانِمِ ،

بَعْدَ أَنْ تَأَكَّدُوا أنَّ الْمَعْرَكَةَ انْتَهتْ لِصالِحِهِمْ . ولم يُقَدِّروا أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ يَسْتَفِيدُ مِنْ أَيَّةِ خَطيئَةٍ يَرْتَكِبونَها .

ولٰكِنْ ، ما عسى يكونُ مَوْقِفُ القائِدِ الْحكيمِ أمامَ الكارِثَة ؟

إِنَّ الْقائِدَ الحَكيمَ الحازِمَ هو الَّذي يَحْتَفِظُ بِرَباطَةِ جَأْشِهِ ، وَهُدوءِ أَعْصابِهِ ، لِكَيْ يَسْتَطيعَ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ أَثَرِ الهَزيمَةِ . وهكذا ثَبَتَ الرَّسولُ في مَرْكَزِ الْقِيادَةِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ هَجَماتِ الأَعداءِ عَلَيْهِ ... يُصْدِرُ أَوامِرَهُ بِهُدوء .

وكانَ مِنْ الطَّبيعيِّ أَنْ يَتَمَيَّزَ ـ في هذا الْيَوْمِ الرَّهيبِ ـ أصْحابُ الإيمانِ الْحَقِّ ، والعَقيدةِ الصَّادِقَةِ ،

فَرَأَيْنا هٰؤُلاءِ المُؤْمنينَ يَتَمَسَّكُونَ بِإِيمانِهِمْ ، وَيَلْتَفُّونَ حَوْلَ رَسولِهِمْ الْتِفافَ اللَّبُؤَةِ حَوْلَ أَشْبالِها ، يَذُودُونَ عَنْهُ بِأَيْديهِمْ وَسُيوفِهِمْ كُلَّ أذىً ، وَيَفْدُونَهُ بِنُفوسِهِمْ وَأَجْسادِهِمْ ، وَيَمْنَعونَ عَنْهُ كُلَّ عَدُوٍّ حاوَلَ الْوُصولَ إِلَيْهِ ، اعْتِقاداً مِنْهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّداً إِذا أُصيبَ فَقَدْ قُضِيَ عَلَى الدَّعْوةِ والإِسْلام .

وهٰكذا يَخْتَلِفُ قَوْمٌ يُقاتِلونَ مِنْ أَجْلِ عَقيدةٍ وَحَقٍّ ، وآخَرُونَ يُحارِبونَ في سَبيلِ ظُلْمٍ وَباطِلٍ .

وكانَ مِنْ فِطْنَةِ الرَّسولِ أَنَّهُ تظاهَرَ ـ بعد الْهَزيمةِ ـ بِأَنَّهُ سَيَلْحَقُ الْمُشْرِكينَ الَّذينَ انْتَصَرُوا عَلَيْهِ ، وَيُبادِلُهُمْ قِتالاً بِقِتالٍ ، وَهُوْ يَعْلَمُ أَنَّ قَوْمَهُ أَجْهَدَهُمُ التَّعَبُ ، وَحَطَّتِ الْهَزيمَةُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ولٰكِنَّهُ أَرادَ بِهذا أَنْ

يُخَوِّفَ الْمُشْرِكينَ ، وَيَثْنِيهُمْ عَنِ الرَّجْعَةِ إِلَيْهِمْ .

وهٰكذا انْتَصَرَتْ هٰذِهِ الْحِيلَةُ بِفَضْلِ هٰذِهِ الْفِطْنَةِ ، حتَّى ابْتَعَدَ الْمُشْرِكون وَلَمْ يَسْتَغِلُّوا نَصْرَهُمْ .

وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، عَلَّمَنا هٰذا الْيَوْمُ فَضْلَ الصُّمودِ ... لأَنَّ المَعْرَكَةَ قَدْ يَخسَرُها صاحِبُها ، ولٰكِنَّهُ إذا صَمَدَ اسْتطاعَ أَنْ يُعَوِّضَ عَنْها . أَمَّا إِذا فَقَدَ الْصُّمودَ فَقَد انْتَهى ٱلأَمْرُ ، وكَتَبَ على نَفْسِهِ هَزيمةَ ٱلأَبَدِ .

وهٰذا الصُّمودُ لا يَظْهَرُ إِلّا عِنْدَ شَعْبٍ آمنَ بِقَضِيَّتِهِ الْعادِلَةِ أَوَّلاً ، وأَحبَّ قائِدَهُ ووَثِقَ بِهِ ثانِياً . وَمَحَبَّةُ الشَّعْبِ لِقائِدِهِ هِيَ الْعامِلُ ٱلأَساسِيُّ في حَمْلِهِ عَلى الطَّاعَةِ ٱلمُطْلَقَةِ ، والتَّضْحِيَةِ النَّبيلَةِ .

أَمَّا ما كانَ مِنْ أَمْرِ الرَّسولِ مِنْ نَهْيِهِ عَنْ تَشْويهِ أَجسادِ الْقَتْلى ، بَعْدَ أَنْ طَلَبَ أَصحابُهُ إِليْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِمُعامَلَةِ أَعْدائِهِمْ بِالْمِثْلِ ، فَهُوَ مَوْقِفٌ لا أَنْبَلَ مِنْهُ ، ولا أَسْمى ... لِأَنَّهُ نَهى ، وَشَدَّدَ النَّهْيَ عَنِ التَّمثيلِ وتَشْويه الْجُثَثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وكانَ يرَى ما فَعلَ أَعْداؤُهُ بِجُثَّــةِ عَمِّهِ حَمْزَةَ . ولكِنَّهُ تَماسَكَ وَصَبَرَ ، وَملَكَ عاطِفَتَهُ .

— إِنَّ رِسالته رِسالَةُ نَبِيٍّ ، لا رِسالَةُ قاتِلٍ ، شَقِيٍّ .

سلاسِل تطلب من دار العلم للملايين

حكايات شهرزاد

•

١ – الدجاجة البيضاء
٢ – الامير بهلول
٣ – مغامرات بشوش
٤ – الغابة المسحورة
٥ – هبلان
٦ – هزيمة التنين
٧ – الارنب مامبو
٨ – مسرور ونبتة الحياة
٩ – جوقة الحمار
١٠ – أميرة النحل
١١ – المغامرون
١٢ – رهوان القنوع
١٣ – الهر الذكي
١٤ – بنانه
١٥ – الاخوة الماهرون

حكايات جدتي

•

١ – ليلى ذات القبعة الحمراء
٢ – المعزاة وصغارها
٣ – الدببة الثلاثة
٤ – فتاة الغابة
٥ – القزم الفهيم
٦ – انتصار الحمار
٧ – المرآة السحريّة
٨ – أم الرّماد
٩ – الامير السعيد
١٠ – الدب الوفي
١١ – بيت الساحرة
١٢ – حكاية تمثال
١٣ – جلد الحمار
١٤ – كو كو ذو الضفيرة
١٥ – الزهرة المسحورة

ايام العرب

حياة الانسان

١ ــ في القُطب الشَّماليّ .

٢ ــ في مَنازل الهُنود الحُمْر .

٣ ــ في الصحراء .

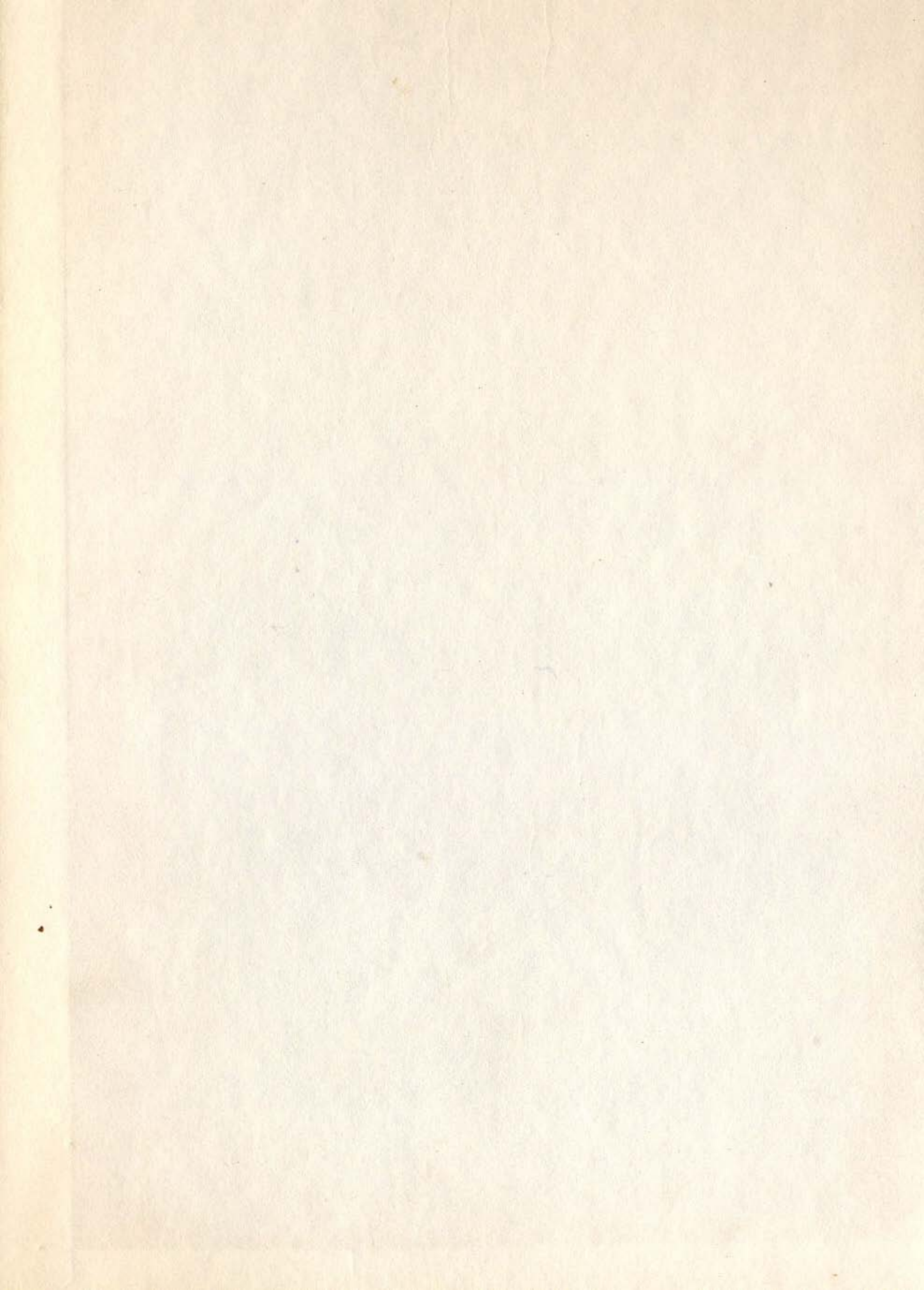
٤ ــ على شَواطِىء البِحار .

٥ ــ في مَنابت الأَرُزّ .

٦ ــ في الجبـــال .

٧ ــ في الأدغال .

٨ ــ في المدن .



أيام العرب

سلسلة كتب جديدة للفتيات والفتيان

تصور أهم معارك العرب في الجاهلية والإسلام

١ - يوم البسوس - الجزء الأول

٢ - يوم البسوس - الجزء الثاني

٣ - يوم داحس والغبراء

٤ - يوم بدر

٥ - يوم أحد

٦ - يوم فتح مكة

٧ - يوم حنين

٨ - أيام العراق

٩ - يوم القادسية

١٠ - يوم اليرموك

دار العلم للملايين

مؤسسة نوفل